جامعة الخرطوم — كلية الآداب

شعبة اللغة العربية

ديـوان الكـردى

تحقيق — شرح — دراسة

عمل

مبارك حسن الخليفة

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

ديسمبر ١٩٧٠

مقدمة الرسالة

ظللت منذ عهد قديم أهتم بالتراث السودانى ، الشعرى منه على وجه الخصوص • ولما منحتنى وزارة التربية والتعليم تفرغا للحصول على درجة الماجستير ، فكرت أول مافكرت فى هذا التراث ، وخطر على بالى أكثر من موضوع •••• وكنت أتردد فى الاختيار •••• واتصلت بالبروفسور عبد الله الطيب ليعيننى على اختيار موضوع مناسب ، وكان يطلب منّى أن أتأنّى وأتريّث ، وأن أفكر برويّة ، ولكن كنت أزداد الحاحا عليه ، وكان بى شغف كبير الى تحديد موضوع البحث •

وفى يوم من الايّام دخلت على البروفسور عبد الله الطيب فى مكتبه ، فبادرنى بقوله " لقد وجدت موضوعا ، لعله يناسبك ، فما عليك الا أن ترافقنى الى المنزل •

وكانت تنتظرنى فى المنزل حقيبة ضخمة ، مليئة بالأوراق والدفاتر والكراسات والصحف ، هى عبارة عن " ديوان الكردى " الذى وضعه البروفسور عبد الله أمامى ، موضحا لى أن الديوان يحتاج الى تحقيق وشرح ودراسة ، وطلب منّى أن أطلع على شئ منه ، ربما راق لى وعسى أن آتيه برأى قاطع يحدد قبولى أو رفضى •

وكان أن اطّلعت على بعض القصائد ••••• ووافقت على أن يكون هو موضوع رسالتى ، حفاظا على التراث ، واحقاقا لهذا الشاعر الذى هضم حقه •

وهنا •• أود أن أوضح أن هذا التراث الضخم كان عند السيدة كرديسة ، ابنة الشاعر ، التى جمعته واحتفظت به بعد وفاة والدها ، فكانت برة به وبوطنها

وتراثه • ولما سمعت السيدة كردية بقيام لجنة التأليف والنشر ، فى وزارة الاعلام والشئون الاجتماعية (١) ، والتى كان يترأسها البروفسور عبد الله الطيب ، حملت الشعر اليه ، وهو من أدرى الناس به لصلته السابقة بالشاعر ومعرفته لشعره وكان رأى البروفسور عبد الله ، أن هنالك صعوبة عملية فى طبع الديوان بصورته تلك ، لانه يحتاج الى تحقيق وشرح وتقديم •

وكانت اولى الخطوات فى سبيل الدراسة ، مابذلته دار الوثائق المركزية من جهد مقدر فى تصوير الديوان ، ووصف المسودات والمخطوطات ، الامر الذى ساعدنى كثيرا فى جمع شتات القصائد وترتيبها ، وسهّل علىّ مهمة التحقيق والدراسة •

وكان العمل ذا شقين : تحقيق الديوان وشرحه ، ثم كتابة مقدمة عن الشاعر ، عصره ، وشخصيته ، وشعره • وعلى ضوء هذا ، وبعد الفراغ من الشق الاول ، قسمت المقدمة الى تمهيد وخمسة ابواب وخاتمة وملحق كانت على الوجه التالى :

(١) فى التمهيد تحدثت عن عصر الكردى ، من النواحى السياسية والاجتماعية والفكرية ، وتحدثت عن حالة الشعر فى عصره ، وعن بيئتين خاصتين عاش فيهما الكردى ، تركتا اثرا فى شعره هما سواكن والدامر •

---

(١) الارشاد القومى الآن

(٢)   وفى الباب الاول تحدثت عن شخصية الكردى ، معتمدا فى ذلك على شعره وعلى احاديث بعض ممن عرفوه وعاشوا معه .

(٣)   وفى الباب الثانى تحدثت عن " منابع الشعر عند الكردى " موضحا الموضوعات السياسية والاجتماعية وغيرها ، مما تناوله الشاعر .

(٤)   وفى الباب الثالث تحدثت عن فن الكردى .

(٥)   وفى الباب الرابع تحدثت عن مكانة الكردى بين معاصريه من الشعراء ، ووازنت بينه وبين محمد سعيد العباسى ، وعبد الله البناء وعبد الله عبد الرحمن .

(٦)   وفى الباب الخامس تحدثت عن مصادر الشعر ، وخطوات التحقيق ، ووصف الكراسات والدفاتر والمخطوطات والمسودات والصحف ، ثم فحصها ودراستها لمعرفة الطريقة التى كان يكتب بها الشاعر .

(٧)   خاتمة الرسالة .

(٨)   وفى الملحق اثبت نص رسالة الكردى الى الحاكم العام ، وارفقت نماذج من من شعره توضح طريقة كتابته ، وخطه وخط غيره ممن نسخوا شعره .

وبعد .... فلا يسعني في هذا المقام ، الا آن اقدم شكري خالصا للاساتذة ، ولاصدقاء الكردي وأهله ، ولاصدقائي الذين عاونوني في هذا البحث ، الذي أتمنى أن تتاح لي فرصة نشره ، فاذكرهم وانشره بذم .

مبارك حسن الخليفة

تمهيد

عصر الكردي

الاطار السياسي

تداعت دولة الفونج أمام غزو الاتراك الذى بدأ سنة ١٩٢١ ، وذلك بعد أن كتبت لها كل عوامل الهزيمة من تفكك ومنازعات ، الى جانب قوة السلاح النارى لدى الاتراك والذى قابله السودانيون بالسيف والرمح •

وقد استمر الحكم التركى ستين سنة يرى بعض المؤرخين أنها اتسمت بالقسوة وفداحة الضرائب الى جانب تفشى الرشوة والعنت والظلم [١] الامر الذى مهد للثورة التى قادها محمد احمد المهدى ، والذى خاض معارك ضد الحكم التركى منذ سنة ١٨٨١ وانتصر عليه فى مواقع حاسمة انتهت بسقوط الخرطوم سنة ١٨٨٥ • واستطاع المهدى أن يجمع فى حركته عددا من روؤس القبائل والشخصيات ذات النفوذ القبلى وقد لعب هوءلاء دورا رئيسيا فى انجاح الثورة •

ولما توفى المهدى ولى بعده الخليفة عبد الله التعايشى الذى كان ساعده الأيمن منذ فجر الثورة ، وقد واجه الخليفة انشقاقات وثورات داخلية سحقها جميعا ولم تشغله هذه الاضطرابات عن محاولة نشر المهدية خارج السودان ، وهو هدف رئيسى

---

١ جغرافية وتاريخ السودان ، تأليف نعوم شقير ، دار الثقافة بيروت ١٩٦٧ ، ص ٦٣٢ •

السودان عبر القرون ، تأليف الدكتور مكى شبيكة ، القاهرة مطبعة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٦ ص ٢٥٢ •

للثورة ، فقاتل في جبهتين : جبهة مصر وجبهة الحبشة ولكن لم يفلح في أي منهما [١] .

وفي عام ١٨٩٨ سقطت البلاد في يد الحكم الأجنبي مرة أخرى ، وذلك بعد الاحتلال البريطاني ـ المصري ، الذي عرف فيما بعد باسم الحكم الثنائي ، ومن ثم دخلت مرحلة جديدة من تاريخها .

وسارت البلاد تحت الحكم الثنائي وجرت فيها تغييرات تبعا لذلك ، فبعد أن غمرت السلع الأجنبية الاسواق ، تنقلها خطوط السكة الحديد ، والمواصلات البرية والنيلية الى معظم ارجاء البلاد ، نمت طبقة من التجار ، التقت بطبقة من المثقفين ،تخرجت في كلية غردون التذكارية ، والتقت آمالهم في النمو والحرية الوطنية وأخذت السياسة تشغل بال هؤلاء ، وازداد اهتمامهم بالمسائل القومية ، وكانوا متأثرين بالافكار الوطنية العامة التي تردد صداها في البلدان العربية وقتئذ ، ومتأثرين أيضا بما (كانوا) يقرأون من الثقافة الاوربية التي تتحدث عن الديمقراطية والحرية .

ولما نشبت الحرب العالمية الاولى ، قادت هذه الطبقة الجديدة حركة سياسية ، وكونت تنظيماتها السرية مثل جمعية " الاتحاد السوداني " ثم جمعية "اللواء الأبيض" منادية بوحدة وادي النيل . ولما كانت تلك الحركة خالية من برنامج يمكن بمقتضاه تعبئة الشعب وحمله على الانضمام اليها فقد فشلت حركتها المسلحة التي عرفت بثورة ١٩٢٤ ، وليس أبلغ تعبيرا عن تلك الحركة من وصف الوثبة فقد تجمعت لها كل خصائص الوثبة بما في ذلك عنصر المباغتة والطفرة وعدم الاكتمال [٢] .

---

١ شبيكة ، انظر سياسة الخليفة الخارجية وحروبه ص ٢٣٢

٢ مجلة الخرطوم ـ عدد نوفمبر ١٩٦٩ الفكر السوداني ، أصوله وتطوره بقلم محمد المكي ابراهيم .

ومع أن هذه الحركات السرية والاخرى العسكرية فشلت فى الوصول الى هدفها ، الا أنها أوضحت كراهية السودانيين للسلطة الحاكمة وقد ترتب على ذلك (أن اتهم الانجليز المصريين بتأليب وتحريض السودانيين ، ولذلك فقد رأوا أن يطردوا المصريين حتى يخلو لهم الجو . ثم ان الانجليز بدأوا يفقدون الثقة فى الطبقة السودانية المثقفة ، وناصبوها العداء على أنها ذات ميول خاصة نحو مصر ، واقفلت حكومة السودان الكلية الحربية واستبدلت يمين ولاء الجيش الذى كان لملك مصر وجعلته للحاكم العام وبذلك قضت على النفوذ الحربى المصرى فى السودان) [١] كما عمدت الحكومة الى سياسة البطش والارهاب والقسوة لكى تدفن الشعور القومى الذى بدأ يستيقظ ، بالاضافة الى المعاملة القاسية التى لقيها طلاب كلية غردون ، كما منعت السلطات الحاكمة الصحافة المصرية من دخول السودان ووضعت العقوبات لكل من تضبط معه [٢] .

* * * *

وفى سنة ١٩٢٩ ظهرت بوادر تدهور اقتصادى عالمى اكتوى السودان بنيرانه فقد أثر على اسعار القطن وتسويقه والذى أصبح آنذاك المحصول الرئيسى النقدى للسودان فنزلت اسعاره وقد اتفق مع نزول اسعار القطن خطب آخر كان مما زاد الازمة ، وهو المرض الذى أصاب القطن وتسبب فى نقص محصوله [٣] وكذلك نزلت

---

١ تاريخ السودان الحديث ، تأليف ضرار صالح ضرار - منشورات دار مكتبة الحياة بيروت - الطبعة الثانية ١٩٦٦ ص ٢٦٢

٢ نفسه ص ٢٦٣

٣ شبيكه ص ٤٤٤

اسعار السلع الاخرى فتقلص حجم تجارة السودان وجرى تخفيض فى الايدى العاملة وخفضت اجور الموظفين والعمال وتقرر تبعا لذلك تخفيض مرتب المتخرج من كلية غردون الى خمسة جنيهات ونصف بعد أن كان ثمانية جنيهات فأطن الطلبة الاضراب عن الدراسة [1] وكان ذلك الاضراب حجرا ألقى فى بحر السياسة الراكد منذ هزيمة ١٩٢٤.

فى هذا الجو المشحون بالمشكلات ، خرج المثقفون بتنظيم اصلاحى هو موءتمر الخريجين العام وقرروا له أول الأمر أن يعمل فى الحقل الاجتماعى وأن ينشر التعليم بين المواطنين ، وكان ذلك سنة ١٩٣٨ [2] .

ولما اندلعت نيران الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ ، لجأت السلطة الحاكمة فى السودان الى توسيع قوة دفاع السودان [3] وارسالها الى شرق افريقيا وشمالها ، وكان هذا جزء من سياسة الانجليز ، اذ ساقوا الجيوش الواقعة تحت نفوذهم ، لتشارك الحلفاء فى الحرب ، ولكى يكسبوا الشعوب الى جانبهم ، أطن أقطاب الحلفاء أن البلدان التى اشتركت فى الحرب ستمنح " حق تقرير المصير " الأمر الذى دفع موءتمر الخريجين الى ارسال مذكرة للادارة البريطانية سنة ١٩٤٢ مطالبة بحق تقرير المصير ، الى جانب مطالب اخرى [4] . وكان أن رفضت السلطات تلك المذكرة استنادا الى انها تحتوى على مطالب سياسية تخرج الموءتمر من المنهاج الاصلاحى الذى رسمه لنفسه .

* * * *

---

١ كفاح جيل ، احمد خير المحامى ، مطبعة دار الشرق ص ٤١

٢ نفسه ص ٤٤٨

٣ قوة دفاع السودان ، التى كانت قيادتها بأيدى بريطانيا اصبحت هى الجيش السودانى بعد الاستقلال

٤ ضرار : ص ٢٦١

وقد فرضت ظروف مابعد الحرب العالمية الثانية نفسها على مؤتمر الخريجين فابتدأ ينشق الى كتلتين ، وعلى أساس تين الكتلتين نشأت الاحزاب السياسية فى البلاد . فقامت الاحزاب الاتحادية والاحزاب الاستقلالية وكان هذا الانقسام بشكل عام حول الموقف من الاستعمار البريطانى ، فالاحزاب الاتحادية تقف ضده وتنادى بالارتباط والتعاون مع مصر ، بينما كان حزب الامة ، يتعاون معه ويرتبط به ويحمل شعاره " السودان للسودانيين " .

أحست السلطة بهذا التحول الذى أحدثته سنوات الحرب ، فقامت بمحاولات لوقفه فأنشأت المجلس الاستشارى سنة ١٩٤٣ من بعض مؤيدى السلطة من نظار القبائل ورؤساء الطوائف الدينية ولكن مؤتمر الخريجين قاطعه وشن حملة عنيفة ضده [١] .

وفى سنة ١٩٤٦ اتفقت الاحزاب السودانية الاتحادية والاستقلالية على السفر الى مصر لمراقبة المفاوضات التى بدأت بين مصر وبريطانيا والتى انتهت بمعاهدة لقيت معارضة عنيفة فى مصر بسبب الدفاع المشترك الذى اعتبره المصريون نوعا من الاحتلال وكان لها صدى عنيف فى السودان [٢] .

وفى الخرطوم كان الانجليز يريدون أن يستعيضوا عن المجلس الاستشارى بالجمعية التشريعية التى أجريت انتخاباتها فى نوفمبر ١٩٤٦ واشترك فى وزارتها

---

١ ضرار : ص ٢٧٥
٢ نفسه ص ٢٧٥

حزب الامة وعدد من زعماء العشائر • ولكن قطاعات كبيرة من الشعب قاطعتها وقامت المظاهرات فى المدن الكبرى ضدها [١] •

وهكذا اتسعت الحركة الوطنية ، ولعب العمال والطلاب دورا بارزا فيهـــا ، وتعددت الاحزاب وتفرعت ، ولما قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ فى مصر ، كانت الحركـــة الوطنية السودانية فى أوج اشتعالها ، فتم التوقيع على اتفاقية فبراير ١٩٥٣، وازدادت الحركة الوطنية اشتعالا حتى نال السودان استقلاله سنة ١٩٥٦ ودخل بذلك مرحلـة جديدة من نضاله •

---

١ ضرار ص ٢٢٧

الاطار الاجتماعى

السودان قطر مترامى الاطراف ، يسكنه من قديم الزمان المقيمون الحضـــــر ، والمتنقلون البدو ، كما يسكنه قوم يعيشون عيشة بدائية فى جنوب السودان . وقد لعبت القبلية فى هذا المجتمع بكل عصبياتها وغاراتها وحروبها دورا كبيرا فى حياة النـــاس وعلاقاتهم ، واعتنقت أغلبية السكان الدين الاسلامى ، وترتب على ذلك تجمعات صوفية [1] واعتقد الناس فيما كان للمتصوفة من كرامات خارقة للعادة وقد تأثر المجتمع بالعـــادات والتقاليد العربية التى دخلت السودان قبل الاسلام وبعده ، الى جانب عادات وتقاليـــد السكان الاصليين من غير العرب . وكان فى المجتمع السودانى — بصفة خاصـة فـى عهد الفونج — مكان كبير للغيبيات والخرافة طفح بها كتاب " طبقات ود ضيف الله" .

ولم يحدث فى هذا المجتمع ، منذ عهد الفونج ، وحتى قيام الحكم الثنائى ، تغيير أساسى وسبب ذلك توقف الحياة الاقتصادية عند الرعى والزراعة ، والانغـــلاق داخل اطار هذا المجتمع دون الانفتاح على العالم الخارجى بالصورة الكافية لاخراجـــه من عزلته .

وبعد ان وقعت البلاد تحت نفوذ الحكم الثنائى ، ضعف النظام القبلى واهتزت أسسه الاقتصادية التى كان يقوم عليها ، فقد نشأت المدن ونزح كثير من افراد القبائـل

---

١ تاريخ الثقافة العربية فى السودان ، دكتور عبد المجيد عابدين ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، طبعة ثانية سنة ١٩٦٧ ص ٦١ .

ليعملوا فيها • وبتزايد عدد سكان المدن وتفتح وسائل جديدة للمعيشة لم تعد القبيلة وحدها المؤسسة التى تمد الناس بوسائل العيش ، وبهذا النمو فى المدن أصبحت الثروة تتجمع فيها ويضعف بالتدريج المركز الاقتصادى للقبيلة وفى هذه المدن نشأت الطبقة الوسطى التى قادت العمل السياسى كما أوضحنا من قبل •

بعض مظاهر التغيير الاجتماعى

لما تم الاحتلال كان هناك عدد من رجال الادارة والقضاة والمستشارين الذين عملوا تحت امرة الخليفة عبد الله وظفوا طاقاتهم لخدمة الحكومة الجديدة ويرى البعض أن تحولهم كان (يعنى بطريقة غير مباشرة الترويج للحضارة الغربية الوافدة واعلان قبولها لدى السلطات الروحية والاجتماعية ليس بالقول فقط وانما بالعمل والمباشرة فقد تعلم اولائك السادة قواعد التدريس المنهجى الحديث ، واصبحوا أساتذة فى المدارس وقضاة فى المحاكم كما تعلموا الى جانب ذلك اصول السلوك فى المناسبات العامة وكيفية اقامة حفلات الشاى الخاصة على الطريقة الانجليزية ٠٠٠٠٠) [١] •

ثم بدأت الادارة الجديدة فى فتح المدارس على منهج حديث لتخريج موظفين يعملون فى دواوين الحكومة ، وفى مجال التدريس ، واقبل عليها الناس بعد أن نفروا منها اول الامر ، وذلك بعد ان تبين لهم أن هذه المدارس سبيل الى ضرب جديد

---

١ مجلة الخرطوم ، عدد نوفمبر سنة ١٩٦٢ ، الفكر السودانى اصوله وتطوره ، بقلم محمد المكى ابراهيم •

من ضروب الحياة ، (وسرعان مانشأ جيل جديد من الافندية ، يلبس الجبة والقفطان بدل الثوب والقميص ويشك فى كثير من القيم الموروثة بما يبديه من استعداد للاخذ من المدنية الجديدة ثم عدل اكثر هوءلاء عن الجبة والقفطان الى الزى الافرنجى ...) [١] .

وقد تحدث ترمنقهام فى كتابه ، " الاسلام فى السودان " حديثا طويلا عن هوءلاء الافندية ، وقد عرفهم بقوله (السودانيون الذين حصلوا على تعليم حديث .... ومعظمهم من المناطق النهرية .... والافندية سواء فى الدربة او المهنة ، كلهم تلقوا تعليمهم فى السودان ، اما فى مدرسة وسطى او مدرسة ثانوية حيث كانت طريقة التدريس غربية باستثناء مادة الدين) [٢] .

وقد اشار ترمنقهام الى ان تعليم هوءلاء الافندية اوقعهم فى تناقض ، لعدم تمكنهم التحرر نهائيا من قيود مجتمعهم ، وذكر مثالا لذلك ان الافندى يتعالج بالطريقة الحديثة لكنه لايستطيع ان يقاوم افراد اهله وهم يريدونه ان يذهب الى الفكى [٣] .

ويرى ترمنقهام ان الافندية جميعا متشابهون فى ان الغرض من التعليم عندهم هو ان يصبحوا موظفين فى الحكومة ، ويضمنوا " معاشهم " ويستنتج من كل هذا ان

---

١ الاتجاهات الحديثة فى النثر العربى فى السودان — الدكتور عبد الله الطيب معهد الدراسات العربية العالية سنة ١٩٦٩ ، ص ٧ .

1969

Islam in the Sudan, by J.S. Trimingham, Printed by Charles Binchell & Sons Ltd. London, & Liverpool, P. 257 ٢

٣ نفسه ص ٢٥٩

الافندى جبان وأنه لايتحمل المسئولية ، وأن عقله يعمل كما يعمل عقل المزارع [١] .

وواضح ان ترمنقهام يعتمد على بعض الحقائق ولكن يجعل منها عموميـــات تخرجه من الموضوعية ، وتجعل يتحامل على الافندى ، ويلبس لباس الناقد ليخفى وراء تعصبه وعدم عطفه على الافندى وسلبه كل مقدرة على الفهم والتصرف .

ونعتقد انه على يدى هذا الافندى بدأت مظاهر التطور فى المجتمع السودانى تتضح ، بعد ان اتصل بالحضارة الوافدة بصورة اعمق من الجيل السابق ، عـن طريق صلته بالانجليز والمصريين ، ومن طريق تعلمه اللغة الانجليزية .

* * * *

وثمة ظاهرة اخرى جديدة فى المجتمع هى مجالس المشرب التى كانت تعقـد فى العاصمة بصفة خاصة وان كان شرب الخمور البلدية معروف منذ زمن بعيد ، وقـد لاحظ بركهارد ذلك فى بعض مناطق السودان [٢] الا أن الجديد فى هذه المجالـس انها كانت تضم مجموعة من المتعلمين ، من ذوى الامزجة المتقاربة والاتجاهات الواحدة ، يسمرون ويتناقشون فى السياسة والادب ويحدثنا الاستاذ حسن نجيلة عن هذه الجلسات التى كان يعقدها شباب ماقبل سنة ١٩٢٤ ، ويرسم لنا هذه الصورة الحية من كفاح ذلك الجيل ([٣] ويوشك الفجر أن يطل ونحن أنشط مانكون اجساما واذهانا ، ونفترق

---

١ نفسه ص ١٥٩

٢ Travels in Nubia, by the Late John Lweis Burckhardt. 1784-1817

ترجمة فؤاد اندراوس تحت اسم "رحلات بوركهاردت فى بلاد النوبـــة والسودان ، مطبعة السوقة ص ١٥٢

٣ ملامح من المجتمع السودانى ، حسن نجيلة ، الطبعة الثالثة ، دار مكتبة الحياة بيروت ص ١٥٣

على وعد باللقاء ، وينفرد منا شخصان نعرف ماهدفهما • انهما محى الدين جمال الدين وتوفيق صالح جبريل دعامات تلك الجمعية السرية " الاتحاد " وقد دأبا احيانا على اعداد منشورات يحضان فيها على كراهية الحكم القائم • وكانا مع بعض اعضاء اخرين يقومان بالصاق تلك المنشورات عند الغسق فى أماكن عديدة بالمدينة ••••• وتشرق الشمس ونسمع أن البوليس قد عثر على منشورات فانتزعها وأنه يجد البحث عن مصادرها فنضحك ساخرين فقد حفظنا السر فى حجاب مكين ويهمس فى مسامعنا من الاعماق صوت فوز [١] يغنى :

نحن صحبه ولخوان عجاب
لينا داعى المولى استجاب
ان مرقنا السر فى لحجاب
وان قعدنا اخوانك عجاب) [٢]

* * * * * *

وبعد فشل ثورة ١٩٢٤ ، وبعد الكبت الذى وقع على الشعب تراجع المثقفون ، وانحصر نشاطهم فى أندية الخريجين ، خاصة فى الحفلات الاجتماعية والجمعيات الادبية ، وتحت ظل هذه الظروف الجديدة ، وظهور جيل جديد من الخريجين ، عادت الجلسات مرة اخرى ولكن فى ظروف جديدة ، وروح جديد وهدف جديد ايضا ، والدوار الـــذى

---

١ فوز ، صاحبة الدار التى كانوا يسمرون عندها
٢ هذا الشعر من تأليف وغناء الفنان السودانى خليل فرح والذى كان يشاركهم السمر فى دار فوز

دار بين اثنين فى موت دنيا يلقى ضوءا على مانقول : (ثم استرسلنا فى الحديث واذا أنت تقول : اذا كانت للغناء مجالس . وكان للمغنين شأن فى صدر الدولة العباسية ولم يكن هناك من يعيب عليهم هذه المجالس ، ومن يأخذ عليهم هذا العبث وذلك اللهو ، فلماذا نتكلف كل هذه المشقة ونحيط جونا بكل هذا التكتم حتى نسمع هذا الفتى ونستمتع بغنائه ؟ واذكر اننى كنت اجيب : وماذا يضيرنا اذا سننا للناس سنة جديدة وادخلنا الى حياتهم ضربا جديدا من ضروب الاستمتاع) .[١]

اذن كان الهدف هو استنان سنة جديدة للناس ، فى طريق اللهو والمتعة ، اقتداء بمجالس السمر فى العصر العباسى .

وكما نظر الشباب الى العصر العباسى لهوه وسمره ، فقد نظروا ايضا الى الحياة الاوربية المعاصرة لهم ، والى حياة اوربا فى القرن التاسع عشر ، من خلال اطلاعهم على أدب تلك الفترة ، فأسموا الدور التى كانوا يسمرون فيها " الصالونات " وكان تعبير صالون فى البدء حديثا لايعرف الا لدى فئة خاصة من الشبان .[٢]

ويمكن ان نتصور احد الصالونات ونحن نتابع صاحبى موت دنيا فى وصفهما (وكنا نرتاد صالونها وكان يموج بذوات القدود اللدنة والصدور الطامحة والخدود المتوردة والعيون الضاحكة البراقة يظهرن فى ابهى الحلل ويخطرن فى زهو كأنهن

---

١ موت دنيا ، محمد احمد محجوب ومحمد عبد الحليم سنة ١٩٤٦ ص ٢٥

٢ نفسه ص ٦٧

يفاخرن بما وهبن من حسن وملاحة وشباب) [١] وتكمل الصورة عندما نسمع احداهــــن تدافع عن صالونها (لاتحسب أنه للعبث والمجون كما يخيل اليك • انه صالون بكل معانى الكلمة يدور الحديث فيه عن الفن والادب والسياسة وتنشد فيه الاشعار الجيدة اشعار الحب والهيام ، وتصور ساعات الوصال والرضى آونة ، وتبث اشجان الصدود وآلام الحرمان اخرى •••) [٢] •

وان كانت السياسة ممارسة فى دارفوز ، فهى نقاش فى الصالونات تدلفى عليه رومانسية تلك الجلسات •

* * *

ولم تقتصر جلساتهم على هذه الصالونات وانما جلسوا فى أماكن لم يكـــن يرتادها غير "الخواجات" ومن على شاكلتهم فى المركز والسلطان ، وهذه صورة لاحدى الجلسات (بل اننى اذكر اننا سمعنا هذا السمفونى مرة اخرى على سطح بـــار بريطانيا وكل ما حولنا ساحر فتان وكان المكان يجمع زهرات الخرطوم وربات الجمال فيه ، وكان هناك رقص ، وكان مرح ، وكانت الانغام تنبعث من خلال الاشجـــار وكانت الانوار مختلفة الالوان خافتة بعض الشىء) [٣] •

---

١ موت دنيا ، ص ٦١
٢ نفسه ص ٦٤
٣ نفسه ص ٤٤

فهذه صورة مترفة لم تكن تعرعلى خاطر توفيق وخليل فرح . ولكل هـــذا دلالته ، فقد تراجع مثقفو الطبقة الوسطى بعد فشل ثورة ١٩٢٤ ورضى كثير منهـــم بالوظائف الحكومية ، واقتصر نشاطهم على المسائل الادبية والمساجلات فى الانديـــة أو الجمعيات الادبية فى المنازل ورغم ذلك لم يخل نتاج بعضهم مما ظهر فى الصحـــف والمناسبات الدينية ، من هجوم ساخر او مقنع على الادارة البريطانية ، كان يزداد وضوحـــا مع ازدياد الوعى وتطور الحركة الوطنية .

ودخل المجتمع السودانى فى اطوار جديدة ، وتعقدت الحياة ، ودار الصـــراع بين القديم والجديد ، بين الموروث والحضارة الوافدة ، ومازال هذا ديدنه رغم اخـــذه بالكثير من مظاهر الحضارة الغربية وتركه الكثير من العادات والتقاليد .

* * *

الاطار الفكرى

تأثر السودان فى ماضيه القديم بالثقافة الفرعونية ، وثقافة البطالسة ، وهى فى جملتها يونانية ، وبثقافة الرومان ، كما تأثر بالثقافة العربية ، اولا عن طريق الهجرة ، واخيرا عن طريق الغزو والفتح . وقد تأثر بديانات سماوية واخرى وثنية [1] .

---

١ الحركة الفكرية فى السودان الى أين يجب أن تتجه ، محمد احمد محجوب ، المطبعة التجارية الجديدة بالخرطوم سنة ١٩٤٨ ص ٦٠

وقد تغلبت اللغة العربية ـ لغة القرآن الكريم ـ بعد صراع ـ وحلت محل الحامية والزنجية . وفي عصر الفونج نشطت الدعوة الاسلامية وانتشرت العقيدة بين الناس ، وقد ترتب على نشرها تجمع صوفي كان نواته شيخ الطريقة يفد اليه الناس فيتلقى بهم محل عبادته او مكان اقامته ويصبحون تحت لواء الشيخ اسرة واحدة أو طريقة واحدة [1] .

ومن أهم اماكن العلم في ذلك الحين الخلوة والمسجد والجامع والزاوية والخلاوى يدرس فيها القرآن اساسا وقد يصحبه مبادئ الحساب والكتابة . وظلت مملكة الفونج ثلاثة قرون تنشر الثقافة العربية في عاصمتها سنار حتى ضعفت وسقطت في ايدى الاتراك .

ورغم حرص محمد على على تشجيع الطرق الصوفية المصرية على الرحيل الى السودان ، ورغم اصطحاب اسماعيل في جيشه نخبة من علماء مصر [2] ، فان البعض يعتبر عهد الاتراك اظلم العهود على السودان ثقافيا [3] . وهذه حقيقة ولكنها لاتنفى اثر العلماء والمتصوفة في ذلك الوقت ويمكن ان نقول ان المهدى نفسه كان نتاج ذلك الاثر .

---

١ تاريخ الثقافة ، عابدين ص ٦٠
٢ نعوم شقير ص ٤٩٤
٣ الحركة الفكرية ص ١١

وفى هذا العهد عرف السودان التعليم الحديث عندما فتحت مدرسة كبيرة فى عهد الخديوى عباس ، فى مدينة الخرطوم ، ولم تلبث ان اقفلت فى عهد محمد سعيد [١] .

ورغم ان المهدية تعتبر عهدا من الحكم الوطنى بدأ فيه نشوء (معظم ظواهر الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية التى تعطى لسودان اليوم قسماته المميزة ...) [٢] الا أن حكومة المهدية انشغلت بالغزو والحروب الداخلية ولم تجد الفرصة للعناية بالحياة العقلية والادبية كما كان يجب أن يكون عليه الحال .

* * *

وفى العصر الحديث ، وبعد الاحتلال ، كان الاتجاه القديم فى الثقافة مازال قائما ، ويتمثل كما ذكرنا فى الخلوة والمسجد والزاوية الى جانب خريجى الازهر والمعهد العلمى الذى انشىء على غرار الازهر ، بالاضافة الى الحركات الصوفية التى بعثت من جديد بعد القضاء على حركة المهدية [٣] .

ولقد ظهر بجانبه الاتجاه الحديث المتمثل فى موجة الوعى القومى والثقافة الغربية التى انتشرت فى المجامع والاندية والمدارس النظامية الحديثة ولاسيما كلية

---

١ شبيكة ص ١٢٤
٢ الخرطوم ، عدد اكتوبر ١٩٦٩
٣ الثقافة ، د . عبد المجيد عابدين ص ١١٥

غردون • وقد غلبت الثقافة الانجليزية واتجه جيل ١٩٢٤ الى زيادة معلوماتهم مما تخرجه المطابع المصرية كما (حملت الصحافة العربية فى السودان اكبر نصيب من الثقافة الجديدة ، وفى مقدمة الجرائد والمجلات التى صدرت قبل سنة ١٩٤٠ ، مجلة النهضة السودانية التى اصدرها محمد عباس ابو الريش سنة ١٩٣١ وهى اول مجلة ادبية لخلاقية تاريخية ، والمجلة الثانية هى الفجر التى اصدرها عرفات محمد عبد الله سنة ١٩٣٤ وهى مجلة قيمة أثارت اعجاب الصحافة المصرية فى ذلك الحين وبفضلها عرف المصريون وغيرهم طلائع تلك النهضة السودانية الشاملة)[١] •

وفى هذا العصر انشئت مدارس وسطى وفنية الى جانب كلية غردون وازداد عدد الخريجين وانضم اليهم الطلاب الذين تخرجوا فى الجامعة الامريكية فى بيروت فازداد عدد حاملى لواء هذا الاتجاه الحديث والمدافعين عنه •

والمواجهة بين الاتجاهين ، القديم والحديث ، [redacted] ذكرها الدكتور عبد المجيد عابدين فى معرض حديثه عن عوامل تصدع المجتمع السودانى حين قال (والعامل الثالث هو الصراع الفكرى بين نوعين من المعرفة : معرفة موروثة عاش عليها المجتمع السودانى فى خلال عصوره السابقة تعتمد أساسا على الرواية والتقليد ، ومعرفة اخرى مستحدثة تأخذ بنصيب من الشك والتجربة ومن النظر الفلسفى المثالى ، وكانت هذه المعرفة الجديدة أشد ما استهوت الشباب فى ذلك

---

١ نفسه ص ١٥١

الحين فقد كانت رغبتهم شديدة فى تمزيق حجب الجهالة واكتشاف المجهول الذى حرموا معرفته اجيالا طوالا سبقت ، ومجاراة بعض ادباء الشرق والغرب فى هذا المجال ، فلم يكد يخرج السودان من عزلته ويتصل بالعالم الخارجى وتتوارد الكتب والصحف ووفود المدرسين والصحفيين من مصر وسائر بلدان العالم ، ويقوم النظام التعليمى فى السودان ، ولا سيما كلية غردون ، حتى اقبل الشباب على هذه المعرفة الجديدة فكانوا طرفا فى قضية الصراع الفكرى التى نشبت بينهم وبين تيار المحافظين اصحاب المعرفة التقليدية واشتدت المجادلات بين الكتاب والادباء الى درجة تلفت الانظار)[١] .

ونحن نتفق مع الدكتور عبد المجيد عابدين فى وجود هذا الصراع بين المعرفة الموروثة والمعرفة المستحدثة ، وقد كانت الصحافة والمنتديات والجمعيات الادبية ميادين ذلك الصراع ، وفيها هاجم الشباب العادات والتقاليد البالية ووضعوا اسسا نظرية للعلاقة بين المرأة والرجل وهاجموا القبلية هجوما عنيفا ودافعوا عن القومية السودانية ، واشهروا سيوفهم فى وجه الادارة الاهلية ..... ولكن على الرغم من ذلك فاننا نلاحظ ان بعض اصحاب المعرفة الموروثة تأثروا الى حد ما بهذه المعرفة المستحدثة وان بعض اصحاب المعرفة المستحدثة ، والداعين للتجديد ، كانوا يقفون احيانا فى منتصف الطريق ، ينادون بالجديد ، ولا يستطيعون فكاكا من القديم .

---

١ فى الشعر السودانى ـ الدكتور عبد المجيد عابدين ـ الدار السودانية الخرطوم ص ٤١

فمثلا عندما دارت المعارك حول تعليم البنت ، وحول العلاقة بين الفتاة والفتى قبل الزواج ، وحول عمل المرأة لكسب قوتها كتب " حمدى " منفعلا (عامية اولياء الامور اذا لم نقل جهلهم المطبق ، جعلهم لايشعرون بضرورة تعليم المرأة)[١] وكتب فـى مثالية عن حرية اختيار الزوجة (فاذا كانت الطبيعة تعطى حرية الاختيار فكيف بالانسان ؟)[٢] ومن الجانب الاخر يكتب احد المحافظين بتوقيع " رجعى " مبديا رأيه فى تعليم البنت (لما رأينا فى تعليم البنات من حيث هو فنحن لانعارض فيه ولا نأباه لان العلم خير من الجهل وذلك من البديهيات وانما نريده ان يكون تعليما دينيا يكبح شهوات النفوس ويهذب شواذ الاخلاق)[٣] ويقول فى رده على احد دعاة الاختلاط الذى هو السبيل الى حرية الاختيار (فان كان يريد اختلاط الحابل بالنابل وبعبارة اصرح اختلاط الشبـاب بالشابات على الطريقة الافرنجية لكى يتبادلا الحب والغرام والوجد والهيام قبل الزواج فنقول له دون ذلك خرط القتاد)[٤] .

وبين هؤلاء وهؤلاء يرتفع صوت ، ذو نغم مختلف وهو صوت عرفات محمد عبد الله الذى يكتب فى هدوء وروية .... (ان وظيفة المرأة الاجتماعية اولا وقبل كـل شىء زوجا صالحة واما صالحة . هذا فى الاصل . ويجب ان يكون تعليمها وتهذيبهـا

---

١ نهضة ١٠/٤
٢ نهضة ٨/٤
٣ نهضة
٤ نهضة

راميا فى الاساس الى جعلها كذلك • ثم هناك اعدادها لتكسب قوتها فى اوقات الحاجة بالطرق الشريفة اذا اعوزها الزوج أو توفى عنها وافتقرت وعز النصير)[١] •

ففى اسلوب عرفات — وهو من الشباب — محاولة لاقناع الطرفين المتصارعين ، وتقريب الشقة بينهما ، وهو اسلوب السياسى الواقعى ، واما حمدى فقد كتب بأسلوب الشاعر المثالى المنفعل •

ويبدو ذلك اكثر وضوحا فى مقالته بعنوان " اخلاق "[٢] والتى يقول فى اولها (نحن الآن فى مفترق طرق متشعبة وهذه المرحلة من حياتنا القومية من اخطر المراحل وابعدها اثرا فيما سيتلوها من سعادة او شقاء ورقى اوتدهور ونهوض او قعود ، أونوم عميق او موت سرمدى وكما ان عابر السبيل اذا وصل ✻ عند مفترق طرق يجعلها تبلبلت افكاره وداخله الخوف لايدرى ايها يسلك وايها يترك •••• كذلك الامم ولاسيما الضعيفة) ويؤكد عرفات فى هذه المقالة ارتباطه بالقديم (فى تطلعه للجديد حين يقول (•••• اذا شئنا ان ندرك موكب الحياة فعلينا ان نفعل كما فعل سابقونا وان نستفيد من اغلاطهم وعثراتهم فنتجنبها) ويضع عرفات اخلاق الشباب فى امتحان امام المدنية الغربية التى يريدها ويخشاها وذلك فى قوله (اما المدنية الغربية بخيرها وشرها بطياراتها وسياراتها ومدمراتها ، بعلومها وآدابها وفنونها ، بطبها وفلسفتها ، بذهبها البراق وبهرجها الخلاب ، وانظار الشباب شديدة الاحساس بالنور ، فسرعان

---

١ نهضة ٣/ ١٤

٢ نهضة ١/ ١٤

ماتنصرف نحو السناء ولا تعود عنه " ان عادت " الا بعد ان تدرك ان وراء النور المتألق نارا آكلة وكهربائية صاعقة ، هنا ينفع التفكير وهنا تظهر مثالية الاخلاق) وهو يريد – عن طريق المصلحين والمرشدين (التخلص من الحوشى الكاذب والزخـــرف الباطل) .... فيصل (الى اللباب المغذى المشتمل على عناصر البقاء والقـــوة والجمال الحقيقى) ولن يتم ذلك – حسب رايه – الا بمكارم الاخلاق والتى هى ليست (محصورة فى ذلك الحيز الضيق الذى يسمونه " الاتكيت " او آداب السلوك فـــى المجتمعات ولكنها .... الارتفاع بالنفس عن دركات الفسق والفجور ، تلك الجرائم التى اصبحت القوانين الوضعية فيها شديدة المرونه) وحين يعدد عرفات مكارم الاخـــلاق لايخرج عن ما عرفه وسارطيه الاقدمون فهى تتمثل عنده فى الصدق والوفاء بالوعـــد والحلم والحزم .

هذا يؤكد ان عرفات لم يكن متطرفا تطرف دعاة التجديد ، وانه كان ينظر الى هذا الجديد المستحدث نظرة حذر شديد .

وقد وجد ايضا من الشيوخ من سلك مسلكا يبعده عن زمرة الذين دمغهم حمدى بالعامية والجهل المطبق وخير مثال لذلك الشيخ بابكر بدرى الذى لم يشعر بضـــرورة تعليم البنت فحسب ، وانما اسس مدرسة لتعليمها فى مدينة رفاعة سنة ١٩١١ ،

---

١ تاريخ الثقافة – عابدين ، ص ١٥٤

اى قبل عشرين سنة من نشوب الصراع حول تعليم البنت •

ونخلص من كل هذا الى انه من الصعوبة وضع هذا الحد الفاصل تماما بين الاتجاهين القديم — الموروث ، والمستحدث الوافد ، ونتفق مع عرفات فى أن السودان كان فى تلك الايام فى مفترق طرق متشعبة •

* * *

الاطار الشعرى

بدأ الشعر الفصيح فى السودان فى عصر الفونج ولكنه كان ركيكا فى مبناه بيد أنه امتاز يومئذ لغرابته فى الاسماع ، ولا خلاص قائله ، ولحاجة الناس اليه ، فقد كان صاحب الشعر صوفيا مقدسا ، والمريدون ينشدون شعره فى حلقات الذكر قربة وبركة ينتفعون به فى دنياهم سلوكا وكسبا • وكان الشاعر — ونعنى به هذا الصوفى — بطلا حاميا ومصلحا اماما يقتدى به الناس فيملأ حياتهم بسيرته الاخاذة • ومن هنا تظهر أهمية هذا الشعر فى هذه الفترة ، وفى ماتلاها من فترات حتى بلغ هذا الضرب من الشعر غايته العاملة المؤثرة فى حركة المهدية)[١] •

وفى العصر التركى جاء بعض العلماء والادباء مع الجيش الفاتح وهم وان كانوا قد جاءوا فى مهمة سياسية الا انهم أثروا على الادب السودانى فاستقامت اساليب جديدة من الشعر[٢] كما ظهرت فئة من رجال الدين ممن تخرجوا فى معاهد مصر والحجاز

---

١ ديوان الحان واشجان لمحمد محمد على ، المقدمة بقلم محمد المهدى مجذوب ص ٥
٢ نفسه

الدينية ، لذلك لاغرابة فى ان نجد اثر الاسلوب الدينى والفقهى فى ذلك الشعر [١] .

وكان هذا الشعر يترسم فى معظمه آثار العصر التركى ولعل من اهم خصائصه حينئذ الميل الى اسلوب المحسنات والتلاعب اللفظى واقحام العلوم ومصطلحاتها فى موضوع الشعر ومادته وخياله [٢] .

ثم تأتى الثورة المهدية لتهز جذور المجتمع السودانى ،فينتفض الشعراء وهم يواجهون واقعا جديدا ، يفرض عليهم مضمونا شعريا جديدا ، وشكلا يبعد عن التهويمات والمحسنات والتلاعب بها ، فاخذوا يتغنون بالبطولات والحماس ، ولعل اشهر ماقيل فى تلك الفترة قصيدة الشاعر محمد الطاهر المجذوب التى مطلعها :

مندوب تعرف صبرنا كيف ارتكبنا للمصاعب [٣]

وقصيدة الشيخ محمد عمر البنا والتى مطلعها :

الحرب صبر واللقاء ثبات والموت فى شأن الاله حياة [٤]

(وذهبت المهدية وكانت الرقابة شديدة على الشعراء المجاهدين الذين عاشوا بعد المعركة فلم نسمع شعرا يصف هول الكارثة فى كررى ولا فى ابى ركبه ولا الشكابة ولعل الشعراء تعمدوا ألا يذكروا هذه الحوادث العظيمة رفضا للهزيمة ولم يجد هؤلاء الشعراء المحزونون اشفى من المديح والتعلق بالذات المحمدية) [٥] .

وفى الفترة مابين ١٨٩٨ــ١٩٢٤ طرأت تغييرات كبيرة على المجتمع السودانى ، وكان من اهم نتائج تلك التغييرات ان جيلا جديدا مع خريجى كلية غردون ظهر فى

---

١ تاريخ الثقافة ، عبد المجيد ص ٢٠٣
٢ نفسه
٣ نفثات اليراع ص ٦٣
٤ نفسه ص ١٠٠
٥ الحان واشجان

الحياة الاجتماعية وكان هذا الجيل قد تأثر بالاساتذة الذين جلبوا من مصر ولبنان للتدريس في الكلية ، كما تأثر بالحركات الادبية والثقافية في العالم العربي ، وقد اتجه الشعراء منهم الى نماذج الشعر التقليدي الذي ارتقى على ايدي البارودي ، وشوقي وحافظ في مصر ، والرصافي والزهاوي في العراق واتبعوا منهجا ، وكانت هذه هي بداية الشعر الفصيح الحق في السودان .

وبعد هزيمة ثوار ١٩٢٤ ، وبعد الكبت والتسلط والقهر الذي وقع على الشعب السوداني ، تمهدت الظروف لظهور الاتجاه الرومانسي ، وذلك بعد ان (اتصل السودان بالادباء المجددين في مصر والشام والمهجر الامريكي ، وقرآ ادباؤه آثار هؤلاء في لعجاب وشغف شديد) [١] كما تعرفوا على الادب الاوربي وقرأوه وتذوقوه .

وبانتهاء الحرب العالمية ، كان الاتجاه الرومانسي قد استنفز اغراضه او كاد فقد ظهرت الاحزاب السودانية الى الوجود وأخذت تصطرع فيما بينها ، وخاض الشعب السوداني معارك حاسمة ضد الاستعمار ، ولعبت الصحافة السياسية دورها ، ومن جانب آخر برز دور الادب التقدمي في مصر ولبنان وسوريا ، واطلع عليه الشعراء الشباب في السودان ومن هنا بدأ اتجاه جديد هو الاتجاه الواقعي .

والجدير بالذكر ان هذه الاتجاهات الثلاثة مازالت تعيش جنبا الى جنب في السودان ، وان كانت الغلبة لشعر الشباب .

---

١ د . عبد المجيد ص ٢٦٠

بيئتان خاصتان

نشأ الكردى فى سواكن ، تلك المدينة التى عاشت ظروفا غير ظروف مدن السودان الاخرى ، واختلفت عنها من حيث مبانيها وعناصر سكانها ، وسبل معيشتهم ، وارتباطها السياسى بالسودان • كما قضى شطرا من حياته فى مدينة الدامر ، مدينة العلم والعلماء ، وذكر للشيخ مجذوب جلال الدين انه افاد منها ماينفعه فى دينه ودنياه [1] •

سواكن

جاء فى دائرة المعارف الاسلامية ان اسمها سَواكن او سَواكم او سُواكن [2] وهى ميناء (عريقة) تقع على الساحل الغربى للبحر الاحمر وقد لعبت دورا كبيرا فى تاريخ السودان وتاريخ القارة الافريقية اذ كانت احد الثغور الهامة المؤدية الى قلب القارة الافريقية من هذه الجهة •

وتعرضت سواكن بسبب موقعها لكثير من الهجرات والغزوات ، وقد خضعت للدولة العثمانية عندما غزاها السلطان سليم • ومع بداية العهد التركى فى السودان طلب محمد على باشا من الباب العالى ضم سواكن الى السودان السودانى لاسباب تتعلق

---

١ مقابلة خاصة مع الشيخ مجذوب

٢ دائرة المعارف الاسلامية ، يصدرها باللغة العربية احمد الشنتناوى وابراهيم زكى خورشيد وعبد الحميد يونس مجلد ١٢ ص ٣٢١

بجمع الضرائب نظير نسبة تدفع من جماركها لخزينة جدة • ووافقت حكومة الاستانة على هذا الطلب [١] وقد الحقت سواكن بادارة السودان بعد استعادة فتحه باتفاقية خاصة سنة ١٨٩٩ [٢] •

وقد زار سواكن عدد من الرحالة ، منهم ابن بطوطة وكان ذلك فى القرن الثامن الهجرى ، الرابع عشر الميلادى ، وكتب فى وصفها وقال (لاماء بها ولا زرع ولاشجر ، والماء يجلب اليها فى القوارب وفيها صهاريج يجتمع بها ماء المطر وهى جزيرة كبيرة وبها لحوم النعام والغزلان وحمر الوحش • والمعزى عندهم كثير والالبان والسمن •••) [٣] •

وزارها ايضا بركهاردت فى القرن الثامن عشر • وقال عن سكانها انهم كاهل ثغور البحر الاحمر جميعا اخلاط من الناس فيهم الحضارمة وقبائل البدو الهدندوة والامرار والبشاريين وبعض ممن ينتمون الى اصل عربى تركى • ويشير الى ان اكثر سلالة الترك ينحدرون من الحامية التى ارسلها السلطان سليم بعد فتحه مصر لتعسكر فى سواكن [٤] •

ويقول بركهاردت ان ليس للسواكنية مهنة غير التجارة سواء بالبحر أم مع

---

١ شبيكه ص ١٣١
٢ نفسه ٤٣٥
٣ رحلة ابن بطوطة المسماة : " تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار " الجزء الاول ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ص ١٥٥
٤ بركهاردت ص ٣٤٢

السودان وهم يصدرون السلع التي تأتيهم من القارة الافريقية الى شتى ثغور الحجاز واليمن [١] .

وفي عهد الاتراك كانت في سواكن حكومة ذات نظام خاص تشرف على الشئون الادارية والقضائية والتجارية والصحية [٢] .

وفي سواكن توجد كل الظروف التي تجعل منها مدينة علم وثقافة ، فهذه الحامية التركية وما يتبعها عادة من العلماء والقضاة والموظفين ، وهؤلاء التجار الذين يعتبرون عاملا من عوامل نقل الثقافات والحضارات ، وهذه المساجد والزوايا التي اسسها المجاذيب لنشر تعاليم اللغة العربية والدين تقف شاهدا على ذلك . وقد تحدث محمد عبد الرحيم عن الشاعر محمد الطاهر المجذوب وقال (ولد بضاحية سواكن سنة ١٨٤٢ ثم تعلم على والده الفقيه الطاهر وتلقى فقه الشافعية والعلوم العقلية على الشيخ محمد مدني السواكني) [٣] مما يدل على الدور الذي لعبته تلك المساجد والزوايا في حقل التعليم .

وبعد الفتح عملت الادارة البريطانية على نقل الميناء الى بورتسودان التي بدأ انشاؤها سنة ١٩٠٦ وافتتحت سنة ١٩٠٩ [٤] وقد بدأ التجار والمشتغلين بخدمة

---

١ بركهارت ، ص ٣٤٨
٢ تاريخ السودان ، البحر الاحمر ، اقليم البجة ، منشورات دار الحياة ، بيروت ص ١١٥
٣ نفثات اليراع ، ص ٩٣
٤ الموانئ السودانية ، الدكتور صلاح الدين الشامي ، وزارة التربية والتعليم الاقليم الجنوبي ص ص ١٦١

الملاحة فى توجيه اعمالهم ونشاطهم الى الميناء الجديدة ، وخرج سكان سواكن الاصليون افواجا الى بورتسودان وهم كارهون •

وسواكن اليوم خالية من كل اثر للحياة والنشاط ، فيما عدا اولائك الهدندوة الذين يسكنون القيف فى ظهير الساحل المباشر فى مواجهة الجزيرة والخليج • ومنازل الجزيرة مهجورة سواء أكانت صغيرة من طابق واحد او كبيرة من عدة طوابق ، ومع ذلك فهى جميلة فى مظهرها الخارجي تحكى عن الماضى وقوة الغنى والزيادة والوفرة • ويظهر عليها الطابع العربى والاسلامى خصوصا فى المنازل الكبيرة الضخمة التى تتميز " بمشربيات " لاتختلف عن شبيلاتها فى منازل دمشق او القاهرة او بغداد [1] ويعتبر قصر محمد بك الشناوى مثالا للفن المعمارى فى سواكن وهو مكون من حجرات بعدد ايام السنة وجميع شبابيكه مرصعة بالزجاج الملون [2] •

والجدير بالذكر ان " السواكنية " مازال فى قلوبهم الحنين والشوق الى ديارهم ، ومازال يداعبهم الامل بالعودة اليها • وقد ظلت سواكن المهجورة مصدر الهام للشعراء يذكرون ما ضيها ويتأسون عليه •

* * *

---

[1] نفسه ص ١٦٤

[2] محمد صالح ضرار ص ١٤٥

الدامر

ورد فى " السودان فى مذكرات ومدونات " ان الدامر اسسها حمد بن عبد الله فى عهد الفونج [١] ويؤكد هذا الدكتور عبد الله الطيب فى مقدمة لصداه النيل ويضيف نقلا عن شيخهم عبد الله النقر احمد جلال الدين ان فقراء الدامر كانوا بها قبل قيام دولة الفونج (ولعل هذا يشير الى المعاهد التى كانت قبل الحاج عيسى) [٢] الذى اوقد نار المجاذيب والسودان ملك العنج النصارى من اهله [٣] .

ويصف بركهاردت الدامر ، ويحدثنا عن المدارس الكثيرة التى كان (يؤمها الطلاب من دار فور وكردفان وغيرها من انحاء السودان ليدرسوا الفقه دراسة تتيح لهم ان يكونوا فى بلادهم فقهاء كبارا) [٤] .

وهذه المدينة الصغيرة طبقت سمعتها الآفاق حتى أن عددا كبيرا من اتباع المجاذيب الذين نزحوا اليهم من اماكن بعيدة استقروا معهم فى بلدتهم مما جعل الدامر تنمو وتصبح سوقا ذا اهمية كبرى [٥] وعاش الناس آمنين يحرسهم هؤلاء الفقراء ، ويمنعون عنهم الاعتداء حتى ان بركهاردت قال (ويلوح ان شئون هذه الدولة الدينية الصغيرة

١- السودان فى مذكرات ومدونات ص ٣٣٦
٢- المقدمة ص ٢٤
٣- مقدمة نار المجاذيب
٤- بركهاردت ص ٢٠٥
٥- السودان فى مذكرات ص

تصرف بمنتهى الحكمة والتعقل ، وجيرانها يكنون للفقهاء اعظم الاحترام والاجلال فقـد القوا الرهبة حتى فى قلوب البشاريين الغادرين فلم نسمع انهم اعتدوا على دامرى يعبر الجبال من بلده الى سواكن) [١] .

هذا وقد نهض ابناء هذه الاسرة باسم المجاذيب واسسوا مساجد وزوايـا بشرق السودان كانت ذات اثر بعيد فى نجاح الثورة المهدية [٢] واحتفظوا للدامـر بمكانها المرموق وعلمها وادبها وهدايتها .

---

١ بركهاردت ص ٢٠٧
٢ نار المجاذيب

الباب الأوّل

شخصية الكــردى

تنتج الشخصية عن عوامل كثيرة عظيمة التنوع والاختلاف ، ولكنا نستطيع أن نقسمها الى قسمين عامين : عوامل التكوين الفردى وعوامل البيئة • ويدخل فى القسم الاول طبيعة الفرد ، واستعداداته ونزعاته ، محاسنه ومساوئه ، كما يدخل عامل الوراثة والتكوين العقلى وطبيعة الجهاز العصبى والبنية وغير ذلك • ويدخل فى القسم الثانى عوامل البيئة • تأثير ظروفها الزمانية والمكانية ، واثر حالة العصر السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والخلقية • كما تدخل بيئته الخاصة ••مولده ، ابواه ، رفاق صباه ، والاوساط الخاصة التى عاش فيها ، واحداث حياته الهامة • ونجد بعض الشخصيات يتساوى فيها تفاعل هاتين الناحيتين — عوامل التكوين الفردى وعوامل البيئة — ونجد بعضها يزيد فيها احد العاملين ويطغى على الآخر[1] •

والشاعر الكردى الذى نبحث عن شخصيته ، وصفه الشاعر محمد المهدى مجذوب بقوله كان (رجلا ربعة ، اقرب الى القصر ، ابيض اللون ، يخير شيبه بالخضاب ، عيناه كبيرتان فيهما بريق الدهشة والغضب والألم ، وكان ضحاكا ، ولكن العينين ، كانتا فى شغل بالتأمل فى عالم شالى • كان مجتمع الجسم ، سوى الخطو ، بعيد الثقة بنفسه ، لانه شاعر ، والشاعر كما رأى واعتقد ، فوق الناس ، يحمل مالا يحملون ، وهو مقاتل

---

[1] شخصية بشار ، الدكتور محمد النويهى ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الاولى سنة ١٩٥١ — المقدمة •

وحده ، بيده لواؤه ، وحوله قومه صرعى جهالة واستعمار . ولم يكن ميسور الحال ، شأنه شأن الموظفين الامناء حتى اليوم . ولقد كان يحتمل الالم والسأم والعزلة الروحية ، ويلبس لكل ذلك دروعا من الشعر البطولى والشوق الصوفى ويهتز للسماح فى التعبير والاخلاق)[١] .

وكتب محمد عبد الماجد احمد (والاستاذ الكردى اذا انصفناه ، شاعر موهوب ، بقدر مافى هذه الكلمة من معنى ، قد اوتى عبقرية شاملة لاتجارى ، وذكاء متوقدا لايبارى ، وقلبا واعيا لايدرك شأوه ، جمع الى ذلك شاعرية فذة ، لايعروها تكلف وتمكن عميق فى اسرار اللغة واصول البيان ، واطلاع واسع على ادب الاقدمين . وهو الى ذلك سريع الخاطر ، حاضر النكته ، محب للاجتماع)[٢] .

وحدثنى الشيخ محمد المجذوب جلال الدين قال (كان ضحاكا ، حاضر البديهة ، محبا للنكتة ، بيد انه كان حاد الطبع مع خصومه وزملائه فى مجال العمل . وفى الدامر كان ملازما لمجالس العلم والذكر ، مواظبا على الصلوات ، وقال عن آرائه السياسية انها لم تكن " مركزة " ولم يعرف عنه التعصب لرأى سياسى معين)[٣] .

ويمكن تلخيص هذه الصفات فى الآتى : كان الكردى سوى البنية ، غاضبا ، متألما ، مثاليا ، واثقا بنفسه ، يعتقد أنه فوق الناس جميعا ، فقيرا ، ذا خلق سمح ، ذكيا

---

١ جريدة الثورة ٢٧/ ٣/ ١٩٦٤

~~مقابلة شخصية~~ *

٢ مجلة الثقافة ـ مصرية ١٩٤٥

٣ مقابلة شخصية .

حاد الطبع ، متدينا ، محبا للاجتماع ، حاضر البديهة ، شديد العداوة مـــع خصومه •

ويمكن تلخيص العوامل التى التحمت معا لتكوين هذه الشخصية على هذه الصـورة في الآتي :

١ـ اصله ونشأته
٢ـ عمله
٣ـ ثقافته
٤ـ عدم الانتماء القبلي
٥ـ فقره
٦ـ عدم تقديره
٧ـ حياته

اصله ونشأته

فى ملف معاش الشاعر الموجود فى وزارة الخزانة (المالية) عثرنا على شهادة طلبتها السلطات ، لادراج اسم الكردى فى لائحة المعاش موقع عليها من ثلاثة مواطنين بتاريـخ ١٩١٢/٧/٦ ورد فيها (نحن الموقعين ادناه نشهد بأن عبد الله افندى حسن الكردى الكاتب بمديرية البحر الاحمر الآن ، هو مولود بكسلا سنة ١٨٨٥ من أبوين " كردى ومصرى" فوالده يدعى حسن اغا على وهو كردى الجنس من بانو التابعة لولاية ••••••[١] وقـــد حضر مستخدما بوظيفة بلوكباشى فى الحكومة السابقة ولا زال مستمرا بالخدمة الى ان توفى بكسلا اثناء حصار الدراويش • ووالدته مصرية الجنس تدعى فاطمة بنت على من بلدة

---

١ اسم الولاية غير واضح لان الورقة ممزقة

الزقازيق التابعة لمديرية الشرقية وقد حضرت متزوجة من والده المذكور من مصر ، وهى الان موجودة على قيد الحياة • ولعلمنا تماما بما ذكر حررنا هذه الشهادة فنرجو اعتمادهـــا تحت مسئوليتنا)

وعثرنا فى نفس الملف على رسالة بعث بها الشاعر الى مامور المحس ، وكان الشاعر يعمل فى مركز دلقو ، عرض فيها مشكلة خاصة بوضعه فى المعاش فى حرف (أ) الخاص بالسودانيين مطالبا بأن يوضع فى حرف (ب) الخاص بالاجانب وفيها يقول (انى لســـت سودانيا وان كان مسقط رأسى كسلا ، لانى ولدت من ابوين احدهما كردى والآخر مصرى ، ولم يحضر والدى للسودان حبا للسكن فيه ولا لتعاطى التجارة وانما جاء والدى لاداء خدمة عسكرية يقضيها ويعود لبلاده • وفيما هو كذلك اذ بالفتح المهدى يتناول انحاء السودان كلها فقتل مع من قتل وراح ضحية خدمة الحكومة ولذا فخليق بالـمـــالية ان تعاملنى فى لائحة المعاشات تحت حرف (ب) وليس تحت حرف (أ) كما فعلت ذلك مع ان شهادة ميلادى التى لديها صريحة جدا وليس فيها ادنى شائبة تدل على انى "سودانيا" حتى تعاملنى اسوة باهالى السودان) •

ويتضح من هاتين الوثيقتين ان الشاعر من اصل كردى ـ مصرى ، وقد تمسك الكردى بأصله هذا جريا وراء الامتياز الذى يمنحه الاجنبى ، يسنده فى ذلك قانون المعاشات لسنة ١٩٠٤ ، والذى تقول فيه المادة الرابعة والعشرون الآتى :

(١) يمكن للموظف الذى يعمل تحت لائحة المعاش (أ) ان يتقاعد فى اى وقت بعد ان يبلغ سن الخامسة والخمسين ، على ان سن التقاعد الرسمية هى الستون •

(٢) يمكن للموظف الذي يعمل تحت لائحة المعاش (ب) أن يتقاعد عند بلوغه سن الخمسين على أن السن الرسمية للتقاعد هي الستون .

وتقول المادة الخامسة والعشرون :

(١) الموظفون الذين يعملون تحت لائحة المعاش (أ) يستحقون المعاش عند التقاعد بعد سن الخامسة والخمسين اذا قضوا في الخدمة مدة خمسة وعشرين سنة ، ويحسب لهم المعاش بنسبة واحد على ستين من مرتبهم لكل سنة قضوها في الخدمة .

(٢) الموظفون الذين يعملون تحت لائحة المعاش (ب) يستحقون المعاش عند التقاعد بعد سن الخامسة والاربعين اذا قضوا في الخدمة مدة عشرين سنة ويحسب لهم المعاش بنسبة واحد على ثمانية واربعين من مرتبهم لكل سنة قضوها في الخدمة[١] .

وواضح ان هاتين المادتين تعطيان الاجنبي بعض الامتياز ، فمن الممكن ان يتقاعد وهو في سن تمكنه من العمل في اي مرفق اخر ، بالاضافة الى ان معاشه سيكون اكبر من معاش السوداني .... ولكن الكردي لم يفلح في مرماه ، ولم نعثر على رد من المسئولين على احتجاجه وانخرط الكردي في حياته ، سودانيا يحن الى اصله الكردي .

--..--

توفي حسن كردي ولما يتجاوز عبد الله السنتين من عمره فقام بتربيته احد اقاربه ويدعى محمد حمو ، وكان قد دخل السودان مع حسن كردي في وقت واحد ، وكان يعمل بالتجارة . وحدثتني ابنة الشاعر عن جدها لابيها ، قالت : يروى عنه أنه كان ميسور

---

١ The Government Pension Ordionce, 1904, Laws of the Sudan, Volume I P. 166.

الحال وكان منزله ملتقى السراة من اهل مدينة كسلا الا أن معظم ثروته تعرضت للسلب والنهب ايام المهدية •

وبعد وفاة والد الشاعر هاجرت اسرة حمو ومعها عبد الله واخوته ولمه الى سواكن، ولكن لم يطب لاسرة الشاعر المقام فى سواكن فارتحلت الى طوكر ، وفيها اتم الكردى تعليمه الاولى وكان يتردد على سواكن فى ايام العطلات • ولما اتم تعليمه الاولى غادر طوكـــر الى سواكن ليلتحق بمدرستها الابتدائية ويعيش فى كنف السيد حمو [١] •

فى سواكن بدأت تتفتح شاعريته المبكرة وكانت بداية ذلك كما حدثنى الشيخ محمد المجذوب جلال الدين ، عندما مدح السيد تاج السر الميرغنى بأربعة أبيات من الشعر (وكانت دلائل النجابة تلوح عليه وهو صبى حتى توسم كل الناس حسن المستقبل ، وانه ممن يفيدون البلاد بذكائهم ونجابتهم) [٢] •

عمله

يبدو انه لم يكمل تعليمه لاننا عثرنا على تقرير كتبه احد روءسائه يقول فيه انــه بلا شهادة مدرسية [٣] ، وكان اول عمل له فى حكومة السودان وظيفة مساح [٤] Landmeasurer فى مديرية البحر الاحمر سنة ١٩٠٦ وفى سنة ١٩٠٧ ترقى فصار جنزرجيا Chairsman وكانت تلك ترقيته الاولى والاخيرة [*] حتى احيل الى المعاش سنة ١٩٤١ غير انه كـــان

---

١ مقابلة شخصية مع ابنته
٢ سعد مسخائيل
٣ الملف
~~٤ نفسه~~
٤ لعل المقصود "قياس" لان مساح ترجمة لكلمة Surveyer

يتلقى زيادة فى المرتب بصفة منتظمة . وكان مرتبه الذى عين به سنة ١٩٠٦ هو ست[1] وثلاثون جنيها فى العام ، وبلغ مائتين وسبعة وعشرين جنيها عند تقاعده سنة ١٩٤١ .

وفى هذه الفترة عمل كاتبا ، وكاتب تسجيلات ومحاسبا ، وتنقل فى بقاع السودان المختلفة فعمل فى مديرية الصعيد وبحر الغزال والخرطوم وجبال النوبة ،والنيل الازرق والشمالية وبربر ودنقلا ، وتنقل فى مدن تلك المديريات فعمل فى طوكر وكادقلى والدامر ومروى ــ دنقلا ودلقو والدبة وحلفا ومدنى وغيرها من البلاد .

وقد انتهت به حياة التنقل الى مدينة الخرطوم بحرى بعد ان احيل الى المعاش وعمل موءقتا فى التموين فى سنى الحرب حتى توفى فى ١٩٥٢/٣/٢٧ ودفن فى مقابر أبى نجيلة[2] .

ثقافته

مرننا ان الكردى تلقى تعليمه الاولى فى طوكر والتحق بمدرسة سواكن الابتدائية ثم انتظم فى سلك موظفى الحكومة سنة ١٩٠٦ وكان عمره واحدا وعشرين سنة ، ومعنى ذلك ان الكردى لم يكن من جيل المشايخ الذين تلقوا تعليمهم الدينى فى الخلاوى ، او فى الازهر ،وعاصروا المهدية ثم واصلوا مسيرتهم قضاة ومدرسين بعد الفتح ، ولم يكن كذلك من الجيل الذى تخرج فى كلية غردون ، وعليه فالكردى كان متفردا فى هذا المجال بين الشعراء المعاصرين له .

---

١ لاحظت ان كلمة ترقى Promoted مكتوبة بقلم الرصاص بينما كل مادة الصحيفة الصحيفة مطبوعة بالآلة الكاتبة .

٢ الثورة

ولما كان الكردى شاعرا مطبوعا ، تواقا الى العلم والمعرفة ، فقد اجتهد فى تثقيف نفسه ، وقد ذكر سعد ميخائيل ان الكردى (نشأ مغرما بحب الادب ، وعكف من صغره على مطالعة مفردات اللغة حتى حوت مكتبته مالا يوجد عند غيره فى السودان)[1] وقد اكد ذلك فضيلة الشيخ عبد الله السنوسى ، وابنة الشاعر التى ذكرت ان والدها كان يحرص على حمل كتبه معه انى نقل ، وقد احترق معظمها فى داخل قطية فى مدينة كادوجلى . ولكن القدر الذى وجدناه منها فى حيازة ابنته يعكس لنا لون الثقافة الذى كان يفضله الكردى : ومن تلك الكتب (ديوان الحماسة ، العقد الفريد ، زهر الآداب ، الحديقة ، فقه اللغة ، الفصول والغايات ، الطرق الادبية لطلاب العلوم العربية ، تفسير القرآن ، قصص القرآن ، الحزب الاعظم والورد الافخم ، الخلق الكامل ، المثل الكامل ، نور اليقين ، تمام الوفاء ، سعادة الدارين ، نور القلوب ، حياة صلاح الدين) .

---

١ شعراء السودان ص

عدم الانتماء القبلي

ذكرنا ان الشاعر من اصل كردي – مصري ، ومعنى ذلك انه لاينتمي الى قبيلة من قبائل السودان (وفي بلاد كالسودان يعتز فيها الانسان بعصبيته وبالجماعة التي ينتمي اليها ، لابد ان يكون عزيزا على النفس ان يجد المرء نفسه مفردا لاينتمي الى جماعة ولا يستند الى رهط او عشيرة)[١] .

وللسودانيين ، بصفة عامة ، رأيا في ذوي البشرة البيضاء ، وهم عندهم اقسام ، لهم اسماء مميزة ، فالاوربي " خواجة " والمصري " حلبي " وتعني " غجري " ، وقد يطلقون هذه التسمية على كل صاحب بشرة بيضاء من غير الاوربيين ، وكثيرا ماتبدل كلمة " ابيض " بكلمة " احمر" وهنالك مثل يجري على الالسن وهو قولهم (الحمره اللباها المهدي) أي اللون الاحمر الذي كرهه المهدي وثار على اصحابه ، اشارة الى الاتراك ومع ذلك فهم لايميلون الى الشخص الذي يتشبه بغير اصله وفي ذلك يقولون " التركي ولا المتورك " اى الافضل ان يكون الانسان تركيا لا متشبها بالاتراك .

وقد لخص ابراهيم فوزي الجعليين بهذه الصفة حين قال انهم (شديدو البغض للمصريين وكل ابيض ولهم اعتقادات في غاية السخافة منها ان بياض البشرة يدل على ان صاحبه غجري لا اصل له وان الانسان لايكون ذا نسب او حسب الا اذا كانت بشرته

---

١ السودان الشمالي ، سكانه وقبائله ، تأليف الاستاذ محمد عوض محمد ، الطبعة الثانية ١٩٥٦ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ص ١٦

سوداء ، وكل ابيض محتقر عندهم حتى انهم لايسمونه الا " الجعيدى " اى الغجرى)[١] .

وقد رد عليه الدكتور عبد الله الطيب مبينا ماوقع فيه من تناقض حين ادعى ان (الجعليين رحلوا من صعيد مصر ويرى الدكتور عبد الله ان من يقيم بارض مصر قبل ان يرحل عنها ، ويقول الدكتور عبد الله ومن عجيب تناقضه قوله من بعد " وهم شديدو البغض للمصريين .... " ويعلل ذلك بأن ابراهيم فوزى نثر من حقده على الجعليين بوجه خاص فى تضاعيف كتابه شرا كثيرا ، وانما كره منهم العروبة[٢] .

* * *

ويمكن ان نتصور حال الكردى الذى ولد سنة ١٨٨٥ عندما كانت الروابط القبلية على اشد ماتكون ، تلك الروابط التى شجعها الاستعمار فيما بعد تشتيتا للشمل ، وابعادا للمواطنين عن فكرة القومية السودانية .

ولا بد ان يكون الكردى قد عانى من عدم الانتماء القبلى ، ومن بشرته البيضاء ، وهنالك من الادلة مايقف شاهدا على مانقول ، فالشاعر صالح عبد القادر هجا الكردى بقصيدة طويلة ورد فيها بيت من اقذع ابيات الهجاء يقول فيه :

وهب انك كردى .... الكرد والتترا[٣]

وتنشر هذه القصيدة ويقرأها الناس ، ويروونها ، ويقفون طويلا عند هذا البيت ،

---

١ السودان بين يدى غردون وكتشنر ، ابراهيم فوزى ، طبعة ١٣١٩ ، ج ١ ص ٣١٤
٢ لصداء النيل ، الدكتور عبد الله الطيب ، الدار السودانية ، الطبعة الثالثة ، المقدمة ص ٢٠
٣ لم اعثر على القصيدة كاملة منشورة ، ولكن الكثيرين يحفظونها ويروونها حتى الآن .

صباحاً مراً

متندرين ، ساخرين ، ويقرآها الكردى ويتألم ويحزن ويهجو صالحا وللمحرر الذى نشر القصيدة وهو الهادى العمرابى .

ودليلنا الثانى شعر الكردى نفسه اذ يعبر عن هذه التفرقة وهذا الاضطهاد حين يقول :

اوذيت، من فئة فى الناس باغية تخفى الضغينة لى والله يبديها

....

وتزدرى البيض من ابناء جلدتها كأنما البيض عبدان مواليها

اذن لابد ان يترك هذا الازدراء اثرا فى نفس الشاعر ، اذ جعله يحس ان جذوره لاتضرب فى اعماق ارض السودان .

فقره

ذكرنا ان الكردى كان يتيما وان والده فقد ثروته ابان الثورة المهدية ، وانه كان موظفا بسيطا يكدح وراء الرزق ، تجوب به الابل القفار والصحارى ، وينهب به القطار المسافات نهبا :

فى كل يوم لى بظعن رحلة ذات السنام غدت بها حذبار

وابن البحار يجوب بى فى تقتق كدحا لعيش لايزال حتار

ويتبدى فقره فى شكوى الدائنين الله سبحانه وتعالى وطلبه ان يدفع عنه غريم الدين بالتى هى احسن :

وادفع غريم الدين عنى بالتى ان هم بالابراق والارعاد

اسرى دراهم غده محـــدودة — لولا فككت من الاسار وثاقـــي
فافتح بما يرضى الكريم فربمـــا — كرب لمش النفس بالارهـــاق

ولما احيل الى المعاش وانخفض مرتبه ، ساء حاله وعيل صبره ، فكتب رسالـة الى الحاكم العام السير روبرت هاو يشكو فيها السكرتير الادارى ، السير روبرتسون ، الذى رفض طلبا تقدم به الشاعر لاعطائه قطعة ارض يزرعها فى طوكر ، على الرغم من أن السلطات انتزعت منه ثلاثين فدانا من الارض للصالح العام ، والذى يطلبه خمسة افدنه لا اكثر ، وهذه الرسالة ، بجانب انها تكشف عن نفس الكردى الثائرة ضد الانجليز ، مما سنتعرض له فى غير هذا المكان ، فهى تقف شاهدا على فقره ، وقد جاء فيها (انـــى رجل متقاعد بالمعاش ، وعندى اولاد ادفع لهم مصاريف مدرسية واسرة كبيرة اعولها ، ومعاشى ليس كافيا للصرف علينا جميعا ، وظروف الحالة الحاضرة عصيبة ، وخصوصا فيما يتعلق بالمعيشه • ومن جراء ذلك فكرت فى أن آخذ قطعة ارض فى بلدى طوكر ، على ان يباشر زرعها وملاحظتها بالنيابة عنى صهرى المقيم هناك • اجل فكرت فى هذا لان الربح مـــن الزراعة يزيد معاشى ويجعلنى لا اشعر بالعسر المالى الذى اعانيه الآن ، ويمكننى الصرف على نفسى وعلى اولادى وعلى هذه الاسرة الكبيرة بغير تعب) [1] •

يحس الكردى بوطأة الفقر والحاجة ، فيطالب بحقه ، ويلهث خلفه ، ولكن عندما يخلو الى نفسه ، وهو فى حالة من الهدوء ، يعتبر الفقر قدره الذى كتب له ، وقسمته التى ارادها له الله :

ولا تقل ساء حظى ان عدتك منى — حظ الكريم من الدنيا تجنبها
الله قسم ارزاق الورى وقضـــى — بكل معجزة حار النهى فيها

---

١ انظر نص الرسالة فى الملحق

عدم تقديره

أحس الكردي عدم تقديره بأنه لم يجد التقدير الذي وجده الشعراء المعاصرون له ولم تحفل به الاوساط الادبية احتفالها بهم ، والقدر الذي ناله من التقدير كان في حدود ضيقة ، عند اناس جمعته بهم حلقات العلم والذكر كما حدث في الدامر ، او بعض الاصفياء في مدن السودان النائية او في الكلمات التي كانت تقدم بها الصحف قصائده ولكن هذا لم يمح من نفسه الاحساس بضياعه وضياع شعره وشدما ماكان يؤلمه ألا يقدر الشعراء من ابناء جيله شعره ، ولا يستحسنه زملاؤه ، ممن يقرأه عليهم او يمتدحهم به ، فهاهو يتحدث الى احد الشعراء الذين تعودوا ذمه وتجريحه :

انى برغمك شاعر برزت فـــي ... نظم القريض وحزت كل نجاح

اخسأ ودع ذمي فانك جاهل ... كم قد حسبت الجد مثل مزاح

وكان يحس ضياع شعره لدى الجهلاء الادعياء :

نظمت له دالية من بلاغـــة ... حوتها غدت ياهذه ، حبب الخمر

فضاق بها ذرعا وضاعت بجهله ... كما ضاع قطر المزن في مهمه قفر

ويحس الشاعر مرارة النقمة التي يصبها عليه سوء لاء اللئام ، فتثور حميته ويحتد مزاجه وينفعل فيقول :

نقموا عليّ وما جنيت وانمـــا ... تدساءهم عنى يقال اديب

وتحمدوا ذمي بكل نقيصـــة ... حيث النبوغ لدى اللئام ذنوب

ثم يبلغ قمة انفعاله حين يقول :

فليعلم السفهاء اني فوقهـــم ... علما وشأني بالذكاء عجيب

ولم يقتصر عدم التقدير على كونه شاعرا اراد ان يسمع صوته للاخرين ، ولكنما احس عدم التقدير هذا من روءسائه وهو الموظف الذى يوءدى واجبه باخلاص وتفان ، بيد انه يصون كرامته واباءه :

غيرى يسود وان طلبت مكانتى	قالوا اساء وابرقوا بوعيــــدى
لاذنب لى غير الكرامة صنتها	فى موقف حرب على الرعديد
ومن الاباء المرء يعرف قدره	ومن الحفيظة عزمة الصنديــد
اخلصت فى عملى ولم يك شافعى	وحفظت ودهمو بغير عهــود
فجزيت ارهاقا وقد مالم يزل	عيش الكريم الحر غير رغيــد

وفى هذا الشعر نسمع صوت الموظف البائس الذى غلب على امره والذى حرم من ابسط حقوقه ، والذى لم يقدر روءساوءه مايوءدى من واجب .

* * *

حيـــاتـــه

فتح الكردى عينيه ولهيب الثورة المهدية يلتهم اقاليم السودان واحدا تلو الآخر واسس الحكم للتركى تنهار ، والسودان يسلك طريقا جديدا ، باحثا عن شخصيته وســـط رماد الحرب ومخلفات العهد التركى القديم .

درج الكردى وعرف الحياة فى سواكن التى تجاذبتها قديما وحديثا سلطات وممالك ، مخلفة فيها اثارا من حضاراتها وعاداتها ، واخلاقها ، عمارة وغنا ، غنى وترفا ، علما ودينا ، وغير ذلك . كما قضى شطرا من حياته فى الدامر بين حلقات العلم والذكر .

وفى شرق السودان عرف الميرغنية ، وتقرب اليهم واسترشد بهم ، واعتقد فيهم •

وتنقل الكردى فى اقاليم السودان المختلفة ، واختلط بأصناف من الناس •• رأى وسمع الكثير ، وعاش حياة طويلة عامرة ، عاصر فيها احداث السودان الكبرى •••• وتطور الحركة الوطنية ، الحروب الوطنية ضد الاستعمار البريطانى ، ثورة ١٩٢٤ ، قيام مؤتمر الخريجين العام ، نشأة الاحزاب السودانية الحديثة ، الجمعية التشريعية وما أعقبها من تطور •

وقد عاصر ايضا الحربين العالميتين ، وحرب فلسطين سنة ١٩٤٨ وماجد من احداث وتطور فى العالم •

وشهد تغيير الحياة الاجتماعية السودانية ، منذ ان وطئت اقدام الجيش الفاتح ارض الوطن فى اواخر القرن التاسع عشر ، وشهد نمو المدن الكبرى ، وظهور الطبقة الوسطى فيها ، وما طرأ على حياة افرادها من تغيير ، وتابع مسيرتها نحو النمو والحرية والاستقلال •

والكردى الذى عاش اكبر شطر من حياته فى اقاليم السودان اتصل بأناس بسطاء جبلوا على صفاء البداوة ، من شجاعة ومروءة وكرم ووفاء وصدق ، ولكنه عندما استقر فى المدينة ، فى اواخر سنى حياته ، صدمته بما مسها من تطور وتغيير ، وما طرحته امام عينيه من قيم جديدة وسلوك مغاير لما عرف من قبل •

وقد عاش الكردى هذه الحياة الطويلة العامرة ، يحس الضياع وسط بحر متلاطم من المشاعر القبلية ، يقعده فقره عن بلوغ آماله وتحقيق امانيه ، يسخر منه الناس ولا يقدرون موهبته ، ترقبه اعين رؤسائه وتحصى خطواته ، ساخطين عليه ، مزدرين به فيجد البحث

عن ملجأ يلتجىء اليه ، وظل يستريح تحته من هجير الحرمان ، وجماعة ينتمى اليها حتى يزول عنه الاحساس بالضياع والغربة ، ومجتمع مثالي يخفف عنه الام المجتمع الذى اضطهده وغدر به . فانتفضت نفسه الشاعرة تحلق فى امجاد بعيدة يعانق فيها اهله الاكراد ، ويلتقى بامجاد الامة العربية ، ويسمو الى الذات العلية والذات المحمدية ويتوسل الى الله تعالى والى نبيه الكريم ، ويلوذ بالاولياء والاقطاب والصالحين من عنت الدنيا وجورها ، وعندما يلتفت الى واقعه يصب سخطه على الاستعمار وعلى الحياة الجديدة التى جلبها معه ، وعندما تصفو نفسه وتهدأ ، يلتفت الى اصدقائه واصفيائه يبادلهم ودا بود ، وحبا بحب ، ومن خلال كل هذا يظهر الكردى متشامخا متعاليا على الناس ، محبا لذاته ممجدا اياها .

وهكذا عاش الكردى ، باحثا عن متنفسات تريحه وتهدىء من روعه ، متفرغا لكتابة الشعر حتى ترك هذا التراث الضخم الذى لايقل من عشرة الف بيت من الشعـــــــر .

وفى الباب القادم سنتناول منابع الشعر عند الكردى ، تلك المنابع التى فاضت فملأت الطروس وغمرت الصحف .

الباب الثاني (٤٧ - ٩٩)

منابع الشعر عند الكردي

النفس الثائرة

كانت نفس الكردي ثائرة لاتهدأ ، تفجرت طاقات من الشعر السياسي والاجتماعي ، كان تعبيرا عن أحاسيس المواطنين الذين قاسوا من النظام الاستعماري ، وذاقوا على يديه الحرمان والتخلف والجهل والاستبداد ، فعمد الشاعر على كشف عيوب ذلك النظام ، وتنبيه الناس الى تلك العيوب ، يتضح ذلك من قوله :

انيّ أناشدكم ماذا بأربعنا	في حيز القطر من مجد لمفتخر
مدارس لم تسع نشأ نما عددا	والنفع نشئ تلقى العلم في الصخر
ومعهد واحد طلابه ازدحموا	حتى بهم ضاق في ساح وفي حجر
والنيل يجري وماللزرع قط يد	...ورب زرع اتاح المال بالبدر
....	....
والمال يجبى لهم غصبا بسيطرة	ونحن بالعسر مازلنا على ضجر
تفيض هما وايدينا معطلة	ومالنا في نهات الارض من ثمر

وهذه الابيات توضح بحق سياسة الاستعمار الذي لم يفتح من دور العلم الا مايكفل له تسيير دولاب الحكومة ، فاكتفى بكلية غردون ، التي ازدحم طلابها فضاقت سوحها وحجراتها . وفي مجال الانتاج كرس المستعمرون جهدهم في ارض الجزيرة ودلتا القاش ، وغيرهما من المشاريع التي تدر عليهم المال ، وتجعل مصانع بلادهم تدور

وتنتج ، وتركوا جموع الشعب ، على ضفاف النيل غرقى ظمأى ، ورغم العسر الــذى يعيشون فيه فان ماتجمع لديهم من مال يؤخذ غصبا فى هيئة ضرائب وعشور ودقنية .

والشاعر لايشخص المرض فقط وانما يصف الدواء ، وهو ارادة الشعب ، التى لاتقهرها قوة الحكومة وسطوتها :

فما الحكومة مهما بالعلا شمخت … والطائرات لدى الهيجاء تحميها
والحشد اجناده فى الارض من زمر … لايستطيع امرؤ بالعد يحصيهــا
يوما تقاوم شعبا فى ارادتـه … ان شاء يوحى بها او شاء يبديها
والملك عدل وشر الناس فى بلد … حكومة لايكون الشعب راضيهــا

وكلمة " الشعب " ذات مدلول واسع ، ولابد أن تكون هنالك فئة معينة من هـذا الشعب قادرة على القيادة والتوجيه ، والشاعر يرى ان هذه الفئة هى الشباب الذى آمن به قوة وثورة ومنقذا للبلاد :

ياشبابا يرجوه الشعب نصرا … فى جهاد للقاسطين أعدا
ويحببه فى الشباب أن يكـــون أبيا همــاما مجاهدا :
يارعى الله فى البلاد شبابا … اشرقوا كالبدور فوق سمانـــا
ليس فيهم الا شجاع وندب … من اباء فى النفس عاف الهوانا
وهمام الى المعالى مجد … جانب الدف والدمى والقيانا
جاهدوا جهدهم وهان عسير … دون حق طلابه اعيانـــا

والشباب فى كل زمان ومكان هم وقود الثورات كما وانهم دائما عرضة لحديث الكهول والشيوخ الذين يرون فيهم الطيش والنزق والحمق ولكن الكردى يرى غير ذلك فهو القائل :

ياكهول الديار بل ياشيوخا | بوقار الشهب زانوا حمانـــــا
اخلصوا للشباب سرا وجهرا | واسمعوا ياكرام صوت ندانا
ثم جودوا بالمال فالمال عسر | ويد الجهل اسرفت في اذانا
لاتعيبوا على الشباب جهادا | اذن الله ان يكون • • فكانـــا

وان كان الشاعر قد خص الشباب دون فئات الشعب الاخرى ، فقد خص ايضا قيادته المتمثلة في الوفد الذى انبثق عن تجمع مؤتمر الخريجين ، فدعا الى مساندته ومؤازرته :

عاش وفد بالنفس والمال يفدى | ثابت العزم للجهاد استعدا

فلا غرو ان تغنى به يوم سفره ، وتغنى بالشعب الذى حف به مودعا ، منشدا ، هاتفا :

بالوفد يوم الوداع تسامى | وله الفوز بعد نأى تدانى
حفه بالجلال شعب كريم | عربى النجار من عدنانـــــا
ومشت نحوه المواكب تترى | بنشيد قد ألهب الوجدانا
وهتاف مجلجل مثل رعد | وحماس عيير غدا يهز الجبانا

× × ×

ماذا يريد الكردى من هجومه على الاستعمار ومن مساندته للشباب والوفد ؟ أهو حماس وقتى يجعله يطلق هذه النعوت العامة على الشباب والوفد أم أن هنالك هدفـــا محددا يرمى اليه ؟ •• الحقيقة ان الشاعر يشير بوضوح فى اكثر من موضع الى ان الجلاء هو الهدف الذى يناضل من اجله الشباب وقيادته ، وطلب الجلاء مبرر بما يعانيه الناس

من ظلم ، وما يحسون من سأم وملل لوجود هذا الضيق الثقيل ، الذى اذلهم دهرا :

ضجت الارض والسماء من الكر ب وظلم الانسان للانسـان
وسئمنا الحياة فى الذل دهرا وبدا ٠٠ بالسوئنا للعيـان
ليت شعرى من ملغ القوم انا قد نظمنا الاشجان بالاشجان
ومللنا بقاءهم ٠٠٠٠ ووددنا لو تخلوا عن قطرنا السودانى
ومشوا للرحيل عنا خفافا واهابوا بالقاعد المتوانى
وهتفنا يوم الجلاء وقلنـا ارحلوا يارفاقنا ٠٠٠ بأمان

وان لم يرحلوا بامان فلا مناص من القتال ، ولابد من أخذ الاستقلال عنـوة :

قل لها العز بات فى استقلال دون من يبتغيه خرط القتاد
قل لها لاينال الا بعضب او برمح مقوم ميـاد

والشاعر يرفع صوته عاليا حتى يسمعه حاكم السودان البريطانى العام ، مطالبا بالحرية والاستقلال ، حين يقول مخاطبا روبرت هاو :

ياهاو للشعب آمال يرجيها تضاله دونها لابد يدنيها
فلا تظن به شـرا نغايته حرية كل من فى الارض يبغيها

ويرفع صوت الموظف الذى ارهقه الظلم والعنت ، والذى يرى فى تنحية الموظفين البريطانيين واحلال السودانيين محلهم ، حفظا للكرامة ، وتخفيفا للاجحاف :

ياحاكما قوله يدعو لسودنـة مرجوة النفع فيما ذاع من خبر
اعط الشبيبة سوء لا فى مواطنها ماكان يدعا ولا امسى من الكبر
وقل لقومك فى سر وفى علـن ان الشبيبة لاتخشى من النذر

وما العلا كل برد راق منظره ... ولا النباهة فى حسن من الصور
وساسة الحكم فى السودان آفتهم ... كبر يحيد بهم عن نصح مختبر
ونح رهط بنى التاميز عن رتب ... وضع لها الحديين الطول والقصر
لقد رزئنا بهم والبؤس جرعنا ... صابا وضاقت بنا الدنيا من الكدر

وواصل الناس مسيرتهم نحو الاستقلال فرقا وطوائف واحزابا ، يتجادلون ويقتتلـــون ، والشاعر يريد ان يوفق بينهم ، فيقول :

ماذا بالقطر سوى شـــوسع ... وعداء يخشى مرصـــده
وعلى م نهوض شـــبيبتكم ... فى حال ليس تؤكـــده
خلف فى الرأى وإصـــلاح ... نمام واشـــى يفسده
وندى يفتح فى بلـــد ... قد كاد شقاق يوصـــده
وصغير اعرض عـــن نصـــح ... وكبير ساء تمـــرده

وهذه صورة صادقة لما كانت تسير عليه الحياة السياسية فى السودان بعد الحرب العالمية الثانية ، والبيت الاخير اشارة لما اصاب الحياة الاجتماعية من تحلل من قيود الماضى وخضوع الابناء للاباء ، والكبار للصغار ، ولم يكن فى وسع الكردى غير نصح يزجيه للشباب بان يقوم بينهم وفاق وود :

أشـــباب القطر لكم وطن ... حرب الاحزاب تهـــدده
والخير وفاق يجمعكـــم ... بالود فمن لـــى اشهده

وهذا دليل على ان الكردى لم يكن طرفا فى تلك المنازعات مما يثبت ماذكرناه ســـابقـــا من انه لم يتعصب لرأى سياسى معين •

× × ×

واذا رجعنا الى الجلاء الذى عبر عنه الكردى فى اشعاره ، نجد ان الجلاء لم يكن هدفا نهائيا عنده ، بل كان هدفا فى مرحلة ليصبح وسيلة فى مرحلة اخرى ، ان الهدف الرئيسى هو الوصول الى الحياة الكريمة التى سيحياها ومواطنوه بعد الجلاء :

بعدكم قد نعيش فى الارض احرارا ونسعى للرزق فوق الرّعان
ونشم النسيم طلقا ونحيا فى نعيم بين الثمار الدوانى
ونرى الضيق فى العراء فسيحا ونزف البشرى الى الاكوان
ونقيم الافراح عاما ونزجى لبنى القطر باقيات التهانى

× × ×

ويلاحظ ان الكردى كثيرا مايربط بين مصر والسودان فى حديثه عن الاستعمار وعن الجلاء :

ليت شعرى متى وعود بنى التاميز تجعل الصدق جدا
آذنوا مصر بالجلاء فتاقت بحنين اليه قد صار وجدا
فاذا بالجلاء اضحى هباء والوفاق استحال شرطا وقيدا

الى ان يقول :

واتركوا مصر بعد خمسين مرت فى نضال ما انفك جزرا ومدا
وارحلوا فالرحيل للمرء خير من ثواء يكون هجرا وصدا
وبقطر السودان اعطوا شبابا الجيل حكما له بحق تصدا

وهنا تبرز الدعوة لوحدة وادى النيل ، بل الانضواء تحت التاج المصرى :

وذروا التاج ينضوى تحته السودان فالتاج بات للشرق مجدا

ولم تكن ثورة الكردى تظهر فى شعره السياسى فقط ، فان كثيرا من شعره المعبر عن ذاته ، المفتخر بها ، يخفى هذه الثورة العارمة وقد لاحظ ذلك الشاعر محمد المهدى مجذوب فى ابيات الكردى التى يقول فيها :

انى ابن انثى حرة عربيـــة	آباؤها بيض الوجوه فحـول
وابى كريم فى النجار وابلـج	فى برده كرم يكاد يســيل
وانا امرؤ زين المحافل شاعـر	لى هزة نحو السماح تميـل

حين قال (وابيات الشاعر الكردى ليست فخرا كما يتبادر الى الاذهان ، وانما هى حركة رجل ابى ينفض عنه الاغلال ولم يقل هذا القول ويتحرك هذه الحركة العنيفة الا ليثبت وجوده ، المحرفى بلد لم يحطمه كتشمر بالمكسيم فقط وانما سعى الى طمس ثقافته وهى سر قوته) [١] .

× × ×

وفى مجال الحديث عن الجلاء والاستقلال ووحدة وادى النيل ، وفى قضية بعينها كتب الكردى قصيدتين تحددان موقفين متناقضين فى ظاهرهما ، ولكن بعد التأمل وتدقيق النظر ، واعتبار الظروف السياسية فى وقت كتابة القصيدتين يزول هذا التناقض . واعنى قصيدتيه اللتين كتبهما عن الجمعية التشريعية .

كتب الشاعر فى نوفمبر ١٩٤٨ ـ الشهر الذى اجريت فيه انتخابات الجمعية التشريعية ـ كتب قصيدة يدعو فيها الى دخول الجمعية ، جاء فى اولها :

---

١ الثورة ، مارس ١٩٦٤

لاتخيبوا جمعية ذات فضل ‏ ‏ ‏ او تفروا منها فرار الجبان

ويرى الخير في دخولها عسى ان يكون في ذلك فائدة ، ويطالب بترك الوحدة التي فرقت الشعب والتي كانت لحنا شجيا ، تغنى به الناس ، وتلقفوا اخبارها في اشتياق وتلهف ، ورنت نحوها القلوب ولكن ... استحالت حلما وسرابا ، وتخلى عنها الذين انقادوا اليها بالامس ، يقول الشاعر :

ادخلوها عسى تعودون منها ‏ ‏ ‏ بمرام الكهول والشبان

وذروا وحدة لقد فرقتكم ‏ ‏ ‏ مابها للنجاح اى ضمان

قد شجانا بلحن اوتارها العو ‏ ‏ ‏ د وغنى الهزار في الافنان

وبأنبائها هفا البرق واشتاق ‏ ‏ ‏ لها قلب كل ذى وجدان

ورنت نحوها القلوب وظلت ‏ ‏ ‏ من اغاني السارين بالاظعان

واستحالت حلما وبعض رؤى الحلم ‏ ‏ ‏ يشيد الصروح للوسنان

ليس بدعا أن اصبحت كسراب ‏ ‏ ‏ ماروى قط غلة الظمآن

او تخلى عنها الذى كان بالامس ‏ ‏ ‏ اليها ينقاد بالاذعان

والشاعر رغم هذا الموقف لايضمر العداء لمصر ولكنه يريد الاستقلال للسودان :

انا لا اضمر العداء لمصر ‏ ‏ ‏ من حوت كل نابغ في البيان

غير انى ماكنت ارضى لقومى ‏ ‏ ‏ ان يعيشوا في الذل كالعبدان

بعد خمسين حاولوا استقلالا ‏ ‏ ‏ فيه مجد لهم مدى الازمان

× × ×

وفى تاريخ لاحق كتب الشاعر قصيدة هاجم فيها الجمعية التشريعية وقال مخاطبا الحاكم العام :

ياهاو للشعب آمال يرجيهـــا — نضاله دونها لابد يدنيها

فلا تظن به شرا فغايتـــــــه — حرية كل من فى الارض يبغيها

ويكتشف الشاعر ان الجمعية التشريعية لم تزل الظلم من على كاهل الشعب ، الذى جارت عليه الحكومة وظلمته :

جارت عليه كما شاءت حكومتكم — وحاربته وزادت فى تجنيها

ومل ذلا لقد اضحى ينوء به — وضاق ذرعا بآلام يعانيهـا

وعاف جمعية لا الشرع يقبلهـا — فى القطر طرا ولاعرف يذكيها

مقلوبة الوضع عاب الانتخاب لها — وراح للناس بالخسران ينعيها

ويفصل القول فى رئيس الجمعية واعضائها والوزراء والوكلاء ، وكل الذين تطلعـــوا للرياسة والسلطان :

اعضاوءها لم يزل ينتابهم فرح — بفضل ماوجدوا من نعمة فيها

وللرئيس علاء لا يوءمله — وللزعيم اختيال فى مغانيها

وللوزير سرور فى [illegible] الديار — وللوكيل صحاب له تسرجى تهانيها

ثم يختصر القول فى هذا البيت :

سراء للبعض الا انها حزن — للشعب بل نكبة قد لاح خافيها

ويرسم الشاعر صورة للحياة السياسية غير المستقرة آنذاك ، ويشبه الجمعية التشريعية بالسفينة التى ركدت بلج البحر واوشكت على الغرق :

وياحاكما جاء للسودان منتدبا — ان السفينة حادت عن مجاريها

وما استقرت على الجودى اذ وقفت — ولا جرت قط باسم الله مجريها

ولاتزال بلج البحر راكـــــدة — وللسياسة ريح ليس تزجيهـا

وانت ربانها فابغ النجاة لها   وكن من الغرق المحذور واقيها

ويعود مرة اخرى لوحدة وادى النيل ويدافع عن دعاتها والهاتفين بها من الشباب :

ماذا هنا اليوم الا انفس منيت   بنائبات من الاشجان تبكيها

شبيبة زهرة الوادى يحار بنا   جند ويدخل غصبا فى نواديها

لاذنب لا وزر الا انها هتفت   بوحدة هى من اقصى امانيها

× × ×

انا لا ارى تناقضا فى هذين الموقفين وانما ارى ان الشاعر لم يتبين طريقه وسط التيارات السياسية المتضاربة ، ولم يحدد له موقفا واضحا ، وكان يتجه نحو مصر والوحدة معها اتجاها عاطفيا ، ولذلك عندما ظهرت الجمعية التشريعية الى الوجود اختلط عليه الامر كما اختلط على كثير من ابناء جيله لان رجال السياسة لم يكونوا واضحين فى مرماهم . ويكفى ان نلقى نظرة على ماكتبه احد ابناء ذلك الجيل عن الاحزاب السياسية حين تساءل عن الاحزاب الاستقلالية او الانفصاليين كما اسماهم فقال " هل هم جمهوريون أم ملكيون ؟ ام هم دعاة انضمام الى رابطة الشعوب البريطانية ؟ "[١] . ويرى انهم انفصاليون عن مصر فقط ولا اعتراض لهم على بقاء الانجليز فى السودان . ويأخذ على الاتحاديين تأجيلهم " الخوض فى شكل الاتحاد مع مصر حتى تقوم فى السودان حكومة سودانية ديمقراطية " ويرى ان منطقهم اعرج " يكشف عن شعور بالضعف كما يكشف عن خبث غير مستور "[٢] .

اذن كان الغموض يكتنف الدعوتين ــ الاتحادية والانفصالية ، على السواء ، وان كان

---

١   كفاح جيل ص ٦٤

٢   نفسه

الفارق الكبير بينهما هو الموقف من الاستعمار البريطاني ، اذ عاداه الاتحاديون وسانده الانفصاليون ، والذى يهمنا هو عدم الوضوح فى تفاصيل الدعوتين الذى يجعل البعض — ومنهم الكردى — لايتخذون موقفا مبدئيا من بعض القضايا والاحداث ، بل يعتمدون على " التجربة " فالكردى اعتمد على هذه " التجربة " فرحب بالجمعية التشريعية اذ رأى فيها بارقا من الامل ، ولكن سرعان ماتكشف له أن ذلك البارق انما كان خلبا ، وان الجمعيـــة التشريعية لم تجد بالفائدة التى كان يرجوها منها ،ولعل قوله :

سراء للبعض الا انهـــا حـــزن للشعــب بل نكبة قد لاح خافيها

يدل دلالة واضحة على ان امر هذه الجمعية قد خفى عليه عندما كتب قصيدته الاولى .

× × ×

ورسالته الى الحاكم العام التى أشرنا اليها من قبل ، تلقى ضوءا على هذه النفس الثائرة ففى هذه الرسالة يصف الحكومة بأنها حكومــــة المفتشين عندما يقول (ان سيطرة المفتشين على الشعب قد بلغت الحد الاقصى من الظلم والاستبداد ، واصبحت لاتطاق وان تلوك الالسنة" هذا الحديث فالجرائد تنشره ايضا) وبهذا يكشف عن البرقراطية التى كانت تسود نظام الادارة . ثم يتحدث اليه عن الشعب الهادى الوديع المسالم الذى لايعادى الحكومة ولا يعصى لها امرا لاحترامه العدل ، وتقديره المسئولية ولكن (تجافى جنوبه المضاجـــــع اذا ظلم ، وان شئت ان تتأكد ففى اضراب عمال السكة حديد بعطبرا اكبر برهان يقنعك)

وكان الكردى جريئا فى ذلك كما كان جريئا حين قال فى نفس الرسالة (ياصاحب المعالى ..... اسمح لى ان اقول لك بأن المستر روبرسون سيرحل من السودان فى العاجل أو الاجل وانا اظل باقيا بصفتى من اهله وان المستر روبرسون لاحق له ان يمنعنى من الزراعة فى بلدى

اذا صح ان السودان للسودانيين ، وان العدل فوق القوة . وان هذا الشعب السوداني الذى يطالب باستقلاله اليوم سوف ينال الاستقلال فى غد وسوف يصبح السودان ملكـا لاهله ، وحكومته سودانية ، لارقابة ولا سيطرة لاجنبى عليها)

وعلى الرغم من ان الكردى كان ينطلق من موقف شخصى الا انه عبر فى هذه الرسالة عن ثورة عارمة تجيش بها نفسه ضد النظام الاستعمارى ، وهو امر لم يكن يقدم عليه من فى مثل موقف الكرفى .

ونحن لم نجد دليلا يثبت لنا ان هذه الرسالة وصلت الى الحاكم العام ولكن ما عثرنا عليه من رسائل فى ملفه الخاص بالمعاش ، بعث بها الى بعض المسئولين ، فيها نفس الروح الغاضبة الحانقة الرافضة للظلم ، تجعلنا نثق فى ان تلك الرسالة وصلت الى الحاكم العام وقد جاء فى احدى تلك الرسائل وقد كتبها سنة ١٩١٦ محتجا على ضياع جزء من مدة خدمته بعد ادخاله فى لائحة المعاشات (ارفع صوتى طالبا العدل والمساواة لانى ظلمت ، واى ظلم اعظم من ضياع مستقبلى ومدة خدمتى الطويلة ؟) وقد كثر ورود كلمتين فى تلك الرسائل هما مظلوم واعارض .

ان موظفا يخاطب السلطة الحاكمة بهذا الاسلوب فى سنة ١٩١٦ ، ليس غريبا ان يخاطب الحاكم العام فى اواخر الاربعينيات بتلك الرسالة خاصة وان تغييرا كبيرا حدث فى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وان الشاعر لم يكن موظفا وانما كان قد احيل الى المعاش .

× × ×

هذه الثورة المحتملة فى نفس الكردى ، اتخذت اشكالا مختلفة ، تبدأ من نفس المنطلق ولكنها تمس جوانب متعددة من الحياة السياسية ومن الحياة الاجتماعية معبرة عن رفض الكردى

لبعض القيم الجديدة ، وللمسلك الجديد الذى سلكه الموظفون وغير المظفين ، متأثرين بحياة المدينة ، مقلدين الانجليز فى حياتهم وزيهم ، يقتدون بهم ويتملقونهم من اجل الترقى ونيل الرتب العالية ، وقد حمل على هوءلاء حملة شديدة فى مثل قوله :

ابناء الجيل أناشدكم ‏ ‏ والصبر شجون تنفده
امن الاقدام النشىء يرى ‏ ‏ فى الحرث عذابا يجهده
ويبيت يفكر فى رتب ‏ ‏ وعلاء تخلق ابرده
وينوء لعزمته كل ‏ ‏ والرزق سفار يقعده
وتغرره الازياء فيا ‏ ‏ للمشرق تهدم سوءدده

ويلتقى الكردى فى حياته بالبليد المنعم والمفكر المتعب ، والنذل المفتخر بمنصبه ، والغنى البخيل ، والغبى الغنى ، والشاعر الفقير والذكى الذى جلب له ذكاوءه الشر ..

كل هذا التناقض الذى طفح على سطح المجتمع بعد ان ادركه التطور ، وخرج من حياة البداوة وسار فى بداية طريق الحضارة ... يقول الشاعر :

والغر ينعم فى البلا ‏ ‏ دة والمفكر يتعب
والنذل يفخر فى السندى ويزدهيه المنصب
والاغنياء بمالهم ‏ ‏ ضنوا وساء المترب
ذهب الندى والصانحوه ‏ ‏ وعاش وغد لخشب
اثرى الغبى وشاعر ‏ ‏ من عسرة متأدب
وغدا الذكاء كما يقال على النوابغ يحسب

ونستطيع ان نقول ان المدينة هزت الصورة المثالية التى كانت فى ذهنه والتى ترسبت

فى نفسه من حياته فى الريف ومن مخالطته رجال العلم والدين ازمانا طويلة ، فجاء اكثر نقده للحياة الاجتماعية فى اواخر ايام حياته التى قضاها فى المدينة ، وعلى سبيل المثـــال نقول ان الكردى اكثر من هجاء البخلاء وتفنن فى ذلك ومن طريف قوله فى هجاء احدى المصريين وكان رقيبا على خزان جبل الاولياء :

رقيب على الخزان لم يعرف الندى ... من الماء فى نيل لقد جاد بالتبر

وكم حسدا تغدو لو أن مـــاءه ... تعطل من مد ودام على الجـــزر

ومن عجب يأسى ويغضب كلمــا ... رأى النيل فى الوادى على قدر يجرى

ولا يخفى مافى هذه الابيات من سخرية لاذعة .

وقد صدمته مجالس الشرب واللهو والرقص :

ساد الظلام وجاء قوم البونس[1] ... فى طالع بين المنازل انحس

والرقص بالطنبور قام بساحة ... والراح دارت بين اهل المجلس

وهو كثير الهجاء لطالبى اللذة بأنواعها :

ما انت الا مغرم بحشـيشـة ... قد عدها من صفقة الارباح

وصريع افيون ورب ضلالـــة ... وسفاهة ماهم بالاصـــلاح

ولم يتورع الكردى عن ذكر ما شذ من الفعال ، ايمانا منه بضرورة الثورة على كل داء يفخر فى جسم المجتمع :

وعلام عازبكم يهيم بامــــرد ... وفتى الحليلة مولع بالمومس

———

1) Bonus كلمة انجليزية معناها منحة

أترى رضيتم بالغلام ام الهوى　　قد جركم لسبيل غي طامس

وليس غريبا بعد هذا ان يلم الكردي شتات تجربته مع الناس والحياة الاجتماعية ويقدمها نصيحة الى ولده :

وما الناس الا لئيم طغى　　وذو صلف جاهل مفسد
وحر من الجبن في داره　　يعيش ذليلا ويستعبد
وصاحب مال من البخل لا　　يجود بشيء ولا يقصد
وطالب حمد مروءته　　تطول بها في الصنيع اليد
وناقض عهد قديما صبا　　لما عافه فاضل امجد
وشيخ كبير به يزدرى　　خليع له بات يجلو الدد
وخدن نفاق مضل غوى　　وابيض يخزى به اسود

وما موقف الكردي من الناس والحياة بهذه الصورة الا رد فعل لما طرأ من تطور على الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ظهر اثره فيما ماظهر على السلوك والاخلاق ، وقد عبر عنه المؤرخ محمد عبد الرحيم حين قال (على اثر الانقلاب الهائل الذي طرأ على الحياة السودانية ، ولم يلبث أن تغلغل في احشائها وتركز في قرارتها ، كان الشعراء اشد احساسا به واكثر عبوسا وتجهما له ، وكانوا اقدر على تهويله وتجسيم امره ولاسيما الاخلاق وقد اغورها ماسخها من خبث ورياء واثرة ونفاق ومكر . وهيأ للسافل ان يعلو وللرفيع ان يسفل فتحكمت الشرور والآثام وانفسح المجال للخبثاء والدساسين وامتلأ الجو بانفاس دنسة وظواهر شاذة في الحياة السودانية)[١] .

١　نفثات اليراع ص ٣٢

الكردي والعروبة

ذكرنا أن الكردي بحث عن متنفسات تريحه مما كان يعاني من ضياع وغربة واضطهاد ، ولكن نفسه الثائرة الطموحة كانت تبحث عن شيء اكبر من مجرد متنفس يلجأ اليه ساعة الغضب ، شيء يصب في اطاره ثورته على الواقع ، ورجعته الى الماضي ، وتطلعه الى المستقبل وكان ذلك " الشيء " هو " العروبة " التي دفعته اليها ثقافته العربية الاسلامية ، وغربته في هذا المجتمع الذي انقطعت الصلة بينه وبين ماضي الامة العربية ، ذلك الماضي المشرق الذي وصفه الكردي في قوله :

تالله ان العرب اكرم امة ... آباؤها وجدودها لخيار

فاضت سماحا بالندى وتدفقت ... كرما وعز صديقها والجار

وسمت على الاقوام حين سمت بها ... همم على رغم الزمان كبار

وترفعت شمما ولم يلحق بها ... من ذي عداء سبة او عار

ملأت فم الدنيا فخارا كلها ... نسب النبي محمد المختار

ويطير الشاعر بخياله ويطوف حول الشام والعراق ثم يعبر الى الاندلس يتذكر تلك البقع التي اضاءت ذات يوم وانتشر نورها وعم الشرق والغرب :

كانت مدارس علم مثل اندلس ... وغد العراق على أبوابها ازدحما

تضم كل ذكي في جوانبها ... اغر تحمد في اخلاقه الشيما

والذكريات مصحوبة دائما باللهفة والحزن :

لهفي على عرب كانت شجاعتهم ... بالامس تملأ فرسان الوغى رهبا

وبالحنين والدعاء :

وحن قلبي لما بالشام من ادب قد زعزع الدهر ركنا منه فانهدما

رعى الاله بها دورا معطلة عمادها طاول الجوزاء والقلما

كل ذلك بالمقارنة بين ماضي العرب وحاضرهم :

واليوم ظلوا كأن بالامس ماركبوا خيلا ولا لبسوا للغارة اليلبا

ساهون لاهون عن شر يراد بهم حتى كأن بهم طرف الجهاد كبا

لا امرهم شورى ولا رجل منهم يفكر في المجد الذي ذهبا

وبجانب الحديث عن حاضر العرب عموما فان المحور الاساسي الذي يدور فيه الكردي هو نكبة فلسطين التي تكشف من حاضرهم المنهزم ويتخوف من المستقبل الذي يخفي النصر والعزة ، او الهزيمة والمذلة :

فياشرقا اضاء الرشد منه سلام كلما ضاع الصواب

دهاك الخطب مذ اهلوك ناموا ونالت من فلسطين الذئاب

فهل لك ان ترد الحق يوما لشعب قد اضر به اغتصاب

فاما حم نصرك بعد حين فغاية كل مرجو اياب

واما نجم سعدك كاد يبدو فللاسعاد بعد واقتراب

والشاعر — في حديثه عن فلسطين ، يكثر الحديث عن اليهود ، وهو امر طبيعي ، ويعجب من منطق الاغتصاب والزعم الذي يعطيهم الحق في فلسطين :

اني لاعجب والعجائب جمة من معشر عقلاؤهم اغرار

يبغون غصبا ان تقوم حكومة منهم خيار رجالها اشرار

والارض تقسم والحمى يجتاحه السفراء والدهماء والثوار
والمسجد الاقصى يكون (١) لهمو اقاموا حوله ام ساروا
زعموا بأن البيت قبلة دينهم ولملكهم فى ارضه آثار

وقد تفنن الكردى فى وصف اليهود ومن طريف قوله :

انتم خفافاً حيث سرتم فارحلوا مادام رائدكم هو الدينار
وتخيروا الصحراء فهى محلة للنازحين وقطرها مدرار
لاتجزعوا منها فان ذئابها اخوانكم وبيوتها احجار
ولكم يطيب بها الثواء وربحكم رغم الرخاء تزيده الاسعار

والكردى ادرك الدور الذى يلعبه الغرب فى اذلال الشرق العربى :

ابناء عدنان ان الخطب حاقكم والغرب فيه دواء الشرق والداء

كما ادرك مساعدته ليهود الغرب :

فلا يغرنكم صلح يمن به فانه ليهود الغرب ارضاء

وللكردى موقف من الغرب جميعا دون تحديد :

جنى على الشرق اهل الغرب قاطبة بالنزى والبطش فى بدو وامصار

وجناية الغرب على الشرق تتمثل فى اوضح صورها كما اسلفنا فى نكبة فلسطين ، ولعل الكردى كان يأمل الا يصدق وعد بلفور ويحقق لليهود امنيتهم حين قال :

سلهم متى بلفور يصدق وعده ومتى يلوح لصبحه اسفار

---

١ كلمة ساقطة

ومتى ينال الملك منهم طامـــع　　　يحدو به نحو الغرور نضــار
ومتى تكون القسمة الضيزى التي　　　من دونها الاهوال والاخطار

× × ×

والكردى يعى جيدا ان جناية الغرب على الشرق ، وتمكينه لليهود فى فلسطين انما جاء عن طريق التطور العلمى والحضارى والتفنن فى ابتداع اساليب الدمـــــــار والخراب :

فى الارض اعلامهم بالنصر خافقة　　　وفى السماء لهم بأس بطيــار
وفى البحار اساطيل لها خـــبر　　　دكت حصونا وراعت كل مغوار
والجند مثل جراد ظل منتشــرا　　　يرد فى الحرب اخطارا باخطار
فى كل معمورة آثارهم عجبــا　　　وملكهم بين اجلال واكـبــار
تسنموا غاربا فى المجد طاش بهم　　　حتى استخفوا بذى فضل وايثار

وكان الاستعمار نتيجة هذا التفوق الاقتصادى والحضارى :

واستعمروا فاذا استعمارهم طمع　　　فى الحال يجبى لهم غصبا بمعشار

ومع ان الشاعر يلقى بالتبعة على الغرب الا أنه لايعفى الشرق من المسئولية ، فالتحزب والعناد والاحقاد كلها ادواء تفتت من قواه :

قل لها الغرب رافل فى ثياب　　　المجد والشرق فى اسى وحداد
قل لها الخطب عندنا احـــزاب　　　كل حزب منهم مضى فى عناد
قل لها ليس للوئام مكــــــان　　　فى قلوب ملأى من الاحقـــاد

فكان طبيعيا ان يركن العرب لاعدائهم عند القتال :

عتبى على العرب لما قاتلوا ركنوا — لكل علج من الاسلام سخار

فكانت الهزيمة وكانت المذلة والمسكنة .

× × ×

هذه الصورة القاتمة للشرق تلمع فى داخلها بقعة صغيرة من الضوء ، تشرق فى نفس الشاعر ، وتملأه املا فى الخلاص ، وفى تحرر الشرق العربى ، وما تلك البقعة الا مصر التى يحلق فوقها بخياله ، يطوف بارجائها ، يستلهم ماضيها وحاضرها ، يستعرض حضارتها وعلمها ، فيعود الى نفسه الامل بعد اليأس والرجاء بعد الخيبة :

وان ترد بسطة فى العلم او ادبا — يتيحه سفر للمرء ان عزما

فمصر اكرم دار انت تسكنها — اذا اغتربت لمجد لم يكن قسما

فانها بلدة بالفضل آهلة — غدا بها نادى الآداب محترما

واهلها حفظوا للشرع ذمته — فى معهد جمع الاعراب والعجما

لابدع ان احسنوا مثوى الغريب فهم — قوم لنزالهم كم مثلوا الكرما

وكل معجزة تبدو فمن يدهم — كهاك اهرامهم قد اهش الامما

وكم هنالك اشباح مصبرة — تكاد تنطق لولا ان غدت حدما

ذكرتنى مجدها الماضى وحاضرها — فهاج بالصدر وجد كان منكتما

فماضيها حضارة عريقة ، وحاضرها علم وادب ودين .

وبعد ان تمثل الكردى حاضر العرب يرسم صورة المستقبل ، والطريق اليه ، فأمله ان يرى الشرق العربى ناهضا منتصرا :

لاجل ان قلبى قد يهيج به الحب ويعروه وجد كلما رحل الركب
ولكن همى ان ارى الشرق ناهضا وسادته فى كل انحائه عــرب
ورايته بالنصر تهفو وجنــــده اذا اقتحم الهيجاء يحذره الغرب

وفلسطين .... يحلم الشاعر بعودتها وعودة لياليها الحسان ، فينعم اهلها بها ، وتفرح قلوبهم ويخذى الله اليهود :

الا ليت شعرى هل ارى فلسطين بعدما غدا امنها خوفا وسل ° بها الخطب
تعود لياليها الحسان لاهلهـــا وبالسلم فى ارجائها يفرح القلــب
ويخذى يهود خيب الله سعيهم اراذل قوم مالهم ابدا صحــــب

وتنتاب الشاعر احيانا موجة من اليأس فلا يرى مخرجا الا بمعجزة ، كأن يعود صلاح الديــن الايوبى فى جنده وقاده :

من للورى بصلاح الدين ينصـــره بعسكر تحت ظل النقع جرار
وفتية درع للخطب من عــرب معودين على الهيجاء للثـــار

وتستهويه صورة الجيش العربى ، ويسبح فى احلام يقظته ، ويخيل اليه انه امام هذا الجحفل الجرار :

اسد سواسيه صيد غطارفــــة بسل جحاجحة ابناء احــرار
مجد عمائمهم خيل سوابقهـــــم حمر صوارمهم زهر كأقمـــار
من كل منتدب للذام مجتنب للحرب مرتقب خواض اغمـار

ولكن الشاعر فى معظم مصادرها ، يرى ان الطريق الى النصر هو الحرب ، وتقتيل اليهود والاخذ بالثأر :

يا ايها العرب الامجاد لاتهنوا ... فالحكم للسيف والعقبى لمن غلبا

ماللبهود ديار بين اربعكم ... وان هموحاولوا التضليل والكذبا

فقتلوهم بضرب فى الرقاب لـه ... فى الغور والنجد من وقع الحسام نبا

ومزقوا بالقنا اجسامهم وخـذوا ... بثار من عدو طالما غصبا

ولن يتأتى هذا الا بالعلم والحضارة ، فالعلم هو الذى قوى عزيمة اهل الغرب فابتكروا وابتدعوا وانتصروا :

فكونوا مثل اهل الغرب عزما ... فاهل الغرب حين الارض جابوا

رأوا فى الجو متسعا فطاروا ... باجنحة كما طار العقاب

واثروا من صنائعهم بتبر ... ومال قد يسيل له اللعاب

وكم زحموا البحار بمنشآت ... تدافع حين يلطمها العباب

واسطول وفى الاسطول خطت ... له فى كل ثانية شهاب

يدمر فى البلاد وحيث يرمى ... قنابله يصيب ولا يصاب

وفى هذا اشارة الى الفارق الحضارى بين الشرق والغرب ، فمن اراد ان يهزم الغرب فلا بد ان يكون مثله علما وحضارة .

العصبية الكردية

ينشأ التعصب من الحاجة السيكلوجية لاحترام الذات والمبالغة في تأكيدها [١] ولطرد شبح الاضطهاد والقهر القومي وخلافه ، وكان الكردي في حاجة الى هذا الاحترام الذي فقده في الحياة الاجتماعية ، فانكفأ على نفسه يبحث عن شيء ما يجبر الناس على احترامه فوجد اصله الكردي ، فاعتز به وافتخر ، وبالغ في ذلك مادحا الاكراد المحاربين الكرماء الاوفياء ، واعجب بصلاح الدين الايوبي فافرد له القصائد الطوال يصف جهاده ودحره الصليبيين ، وتمنى ان لو عاد لينقذ العرب والمسلمين مما ترددوا فيه . وقد رأى الشاعر ان الهوان الذي يعيش فيه لا يتفق وانتمائه الى هؤلاء القوم الاعزاء :

كيف ارضى بالهوان ولـــي   محتد للكــرد ينسبني

بهذا اكتشف الكردي نبعا ثرا نهل منه ليروي روحه الظمأى ، نهل حتى فاضت نفسه شعرا يجعل الاكراد اعلاما في الشرق ونجوما تستطع في سمائه . وكان يكثر من وصفهم في ساحة القتال ، يعجب بشجاعتهم وخوضهم المعارك ، وانتصارهم للحق . في مثل قوله :

كرد وللكرد في الغارات هجهجة   وغلظة ما اهاج الضرب اسيافا
في الحرب اسد وفي سلم ملائكــة   لمن رعى العهد او بالود قد وافى
بيض الوجوه ميامين نقيبتهــم   فاضت من الحمد في الارجاء اعرافا
مرانهم في الاعادي طالما فتكت   وبيضهم مزقت في الضرب اكتافا

---

١ علم النفس الاجتماعي ، د . فؤاد البهي السيد ، دار الفكر العربي ص ٢٠٦

مافيهم غير نهاض لغاشية ضرغام غاب لصارالرمح رعافا
ماضى العزيمة يلقى الحرب مبتسما لايرهب الموت قرم صال واجتافا

ولم تكن غايتهم — فى رأيه — السلب والنهب ، وهم الكرام الاجواد ، ولم يكونوا مرهبين وهم الساسة المجربون ، العادلون الذين يريدون الخير لرعاياهم :

خاضوا غمار الحرب الا انهم رغبوا بانفسهم عن الاسلاب
واكفهم بالجود كانت انعما وجفانهم لضيوفهم كجراب
ساسوا الانام بخبرة وتجنبوا فى الحكم كل وسائل الارهاب
عمروا البلاد وغادروا اقطارها سلما اعاد الامن لاستتباب
وغدا بهم عيش البرية مترعا بالخصب .. والنعمى من الاخصاب الاخصاب

والكردى يجسم محاسن قومه ويبالغ فى وصفها ، ويختال كبرا وتيها ويخلو فى احترام نفسه من خلال تأكيد انه كردى وان للاكراد امجادا كفيلة بأن تجبر الناس على احترامه . واكثر المواقف التى يذكر فيها الاكراد هى مواقف الهجاء ، الذى دائما يكون ردا على اساءة ، فالاساءة تجدد فى نفسه الشعور الضعف ، فيحاول ان يدفع عن نفسه هذا الشعور ، ونجده دائما يرسم صورة للمهجو تتجمع من جزئياتها من الصفاة الذميمة كالكذب والادعاء والجهل والجبن والبخل ثم يضع نفسه فى دائرة ضوء الصفات الحميدة التى اكتسبها من نسبته الى الاكراد وهنا يعود اليه الشعور بالقوة والاعتزاز .

واذا اتخذنا قصيدته الحائيه ذات الموضوع الهجائى تبين لنا مانقول ففى خطابه الى المهجو يقول :

اجل انت كذاب حقير وسافل بك الخزى فى كل المواطن رازح

وفظ غليظ بل وضيع مذمم   دعي غبي للضلالة جانح

وفيها يقول :

حقود تخون الاهل والجار والحمى   وشر بني الدنيا خئون وكاشح

وذئب يطمع فيه كل دنيئة   وكلب سلوقي عقور ونابح

بعد هذا السباب الذي يدل على هذه النفس الخاضبة الحانقة ، يلتفت الشاعر الى نفسه :

وناضلت الا عن غواية باطل   وسالمت الا من لبغي بصابح

الين واقسو غير انى سجية   بعفوى عن جهل الاراذل صافح

واني امرؤ ارتاح للبذل والندى   كريم بما عندى من المال جازح

وكل هذه الصفات عطاه من نسبه الكردي :

ولي حسب بين السماكين نازل   له الشرق الضخم الرفيع مناوح

نمته الى العلياء كرد ضراغم   تجاوزهم في الريح باغ ولا تح

ويعتز بنسبة صلاح الدين اليهم :

صلاحهم تاج الملوك مجاهد   وليث عرين بأسه لايكافح

ثم يصل قمة الفخر انفعاله الذي يعقبه الشعور بالرضى :

اولائك هم اهلي الالى في جهادهم   عن الشرق والاسلام بالبيض نافحوا

وان كان الكردي قد مدح صلاح الدين بوصفه كرديا فقد مدحه ايضا بوصفه بطلا عربيا مسلما وكان مثله الاعلى وبجانب مدحه عند الحديث عن الاكراد والعرب والمسلمين فقد افرد له قصائد بعينها واحدة منها تعتبر اطول قصيدة في الديوان اذ حوت على تسع وعشرين ومائتي بيت وجاء في اولها :

ياربع مالفؤادي عنك مصطبر   واهلك البدو لي في صحبهم وطر

وجاء فيها قوله :

ويوم حطين حيث الباس محتـــدم   والعسكر المجر مثل السيل ينحــدر

والقطن بردي بقوم لااخلاق لهم   باعوا الهدى بضلال حينما فجـروا

والبيض تضرب والاعناق طـائــرة   كما تطير بضرب الفتية الاكـــر

وفي السماء دخان والضحى حلـك   وطير الحرب في الغبراء منتشـــر

قد كشف الخطب من نصر اتيح لـه   والنصر قدما به الانسان يفتخـــر

وان كان الكردي قد نظر الى صلاح الدين من زاوية الملك وزاوية الشجاعة فقد نظر اليـــه فرأى فيه الانسان الذي لم يغتر بالملك العريض ، ومادان له من بلاد ، ولاشبيه له الا عمر الفاروق الذي حكم الامبراطورية الاسلامية فكان عادلا قيما على الدين :

وما غره في الشام ملك رواقــــه   على الشرق ممدود وقصر مسنـم

ولا النيل في مصر تدفق كـوثرا   وروض بها غريده يترنـــــم

ولا اليمن النائي ولو ان جيشـــه   بصنعاء ذات الخصب امسى يخيم

تجاوز اعلى حضرموت وقـبـلـهـا   لقد حل في نجد وكم راح يتهم

له سيرة الفاروق بالعدل في الورى   ومن كأبي حفص به الدين قيـم

وقد اسمى الشاعر ابنه صلاح الدين ، تعبيرا عن اعجابه ومحبته لصلاح الدين الايوبـــي :

وكتب قصيدة مطلعها :

~~سح اللــه على ... ... بكــرة وعشـية~~

~~ومنها قوله :~~

عرفت دهرى على الامجاد قد حافا   فكيف ارجو من الظلام انصافا

قدم لها بقوله (تحية بطل الشرق صلاح الدين الايوبي بمناسبة ميلاد صلاح الدين نجل عبد الله حسن الكردى) .

والقصيدة فيها اكثر من سبعين بيتا كلها في مدح صلاح الدين الايوبي والاكراد . وامعانا في التعصب اسمى ابنته ، وهي كبرى انجاله ، اسماها كرديه وقال عنها :

حسناء ذات الحسن كرديه   من بيت دين يخاف الله مولاه

شبت على خلق يحلو القريض به   كأنه الزهر لما فاح ريّاه

* * *

ويبدو ان الكردى كان متابعا اخبار اهله المنتشرين في بلاد الشرق والغرب ، متجاوبا معهم في نضالهم ضد القهر والتسلط ، خاصة اولائك الذين قاسوا من حكم كمال اتاتورك في تركيا الذى قمع (الانتفاضات الكردية بوحشية ووقعت مذابح دامية ذهب ضحيتها الشبان والنساء والاطفال)[1] . وينبعث صوت الكردى مناديا بالثورة :

رجال الكرد ثوروا اجمعينا   لهيجاء تناديكم سنونا

وسلوا البيض في اعناق قوم   غدوا عن دين احمد راغبينا

ويستنكر الكردى ماقام به اتاتورك من فعال مثل هدمه الخلافة الاسلامية ، وجعل المساجد متاحف ، ومنعه الاذان ورغبته عن الدين واتجاهه الى الغرب . ويصف الاتراك بقوله :

---

١ الواقعية في الادب الكردى ، د . عز الدين رسول ، دار الكتب العصرية — بيروت ص ١٥٦

بنو ياجوج في الغبراء دهرا ... يمين الله كانوا فاستقينا

ويقول عن اتاتورك :

كمالهم غدا فرعون موسى ... يذبح في الكرام الساجدينا

ولم يعف اتاتورك من العتاب حتى وهو يبكيه ويرثيه :

واذا ذكرت الكرد اهلى ساءنى ... فتك بهم ولو انهم ابطال

حاولت دهرا ان تدوس عرينهم ... وعرينهم من دونه الاهوال

هيهات تخضع للقواضب امة ... ضربت بها في البطشة الامثال

وذلك في قصيدته التي مطلعها :

اودى الهمام فتى الجهاد كمال ... فتكسرت للدارعين نصال

الكردى وعلاقاته الودية

ثار الكردى وسخط على الحياة والناس ، ولكن لم يعش فى عزلة تامة ، فقد اصطفى منهم اناسا كانوا يمثلون القيم التى آمن بها ، يتصفون بالكرم والشجاعة والتقوى والوفاء ، الى جانب اولائك الذين اعترفوا به شاعرا ، ونوهوا به ، ولهذا فان جانبا كبيرا من شعره اختص به هؤلاء الاصدقاء مدحا وتهنئة ورثاء .

وكان الكرم عنده الفضيلة الكبرى التى ترفع قدر الانسان فى نظره ، فلا تخلو قصيدة مدح عنده من هذه الصفة ، فلنستمع اليه وهو يمدح المجذوب الكبير :

لك بالقدور الراسيات لقد بدت   نار لها ملء الفجاج شبوب
كم يهتدى السارى بها فى ظلمة   ودونها تلقى الرجال النيب
ولك الجفان البيض تترع بالقرى   كرما وعام المحسنين جديب
جاريت حاتم فى الندى ولو انه   خير الاجاويد الالى محبوب

وقد جمع صديقه ابو جميل كل الصفات الحميدة :

كريم غير ان الجود فيه   سجية خضرم عالى المكان
حليم غير ان الحلم فيه   يريك الصفح من عثرات جان
همام غير ان العزم فيه   اذا ما صح اصليت يمانى
اديب غير ان له يراعا   يحلى كل طرس بالجمان
خطيب غير ان له لسانا   فصيحا فى الخطابة ذا بيان

وهكذا فهو رئيس ، شجاع ، بزيع ، ابى ، ضحوك • ولو تتبعنا قصائده الاخوانيه لما وجدناها تخرج عن هذه الدائرة ، ويمكن ان توصف بانها لاتخلو من المجاملة والتقليد • وفيها تعميم تضيع معه معالم الشخص المعنى بالمدح او التهنئة • ونجد هذا التعميم ايضا فى الرثاء ،وها هو يرثى محمد افندى يوسف ، بقوله :

نثرت على القرطاس بعد توجع ... لالى • لم تظفر بها ذات برقع

فما النثر من عادى لانى شاعر ... قريضى لم يفتأ هوى بين اضلعى

اجل ان بكيت اليوم فالشرق كله ... دموع وان الناس غير مروع

مصابك كم فى الشرق ابكى خريدة ... وانهل اما عن فطيم ومرضع

ففى كل حى مأتم شرّد الكرى ... وطار شعاعا بالكمى المدرع

وكان الكردى صادقا ، وفيا ، معترفا بالجميل ، حين رثى عمه محمد حمو الذى كفله ورعاه بعد موت والده :

ولاشكرن يدا اسديت لى ... نعما يضيق لها الفضاء الاوسع

واجل ودا كنت ترعانى به ... ومحبة طويت عليها الاضلع

قد كنت موسى فى الحياة ووالدى ... هارون ان نودى لامرك يسمع

ومن اجل ذلك احس الكردى الم اليتم يوم ان فقد عمه الذى كان له بمثابة الاب ، فكان صادقا حين قال :

ماكنت ادرى اليتم قبلك مولما حتى رأيتك للحياة تــودع

وقد حاول الشاعر ان يعطى بعض تجاربه نوعا من التخصيص فيمدح القاضى بالعدل ، والمعلم بسعة العلم ، والدراية ، والطبيب ، بتعمقه فى طبه ، وانسانيته .
ففى مدحه للقاضى اسماعيل الازهرى يقول :

وخدمت شرع محمد والدين فى بلد نأت للظاعن الجــواب
وحكمت دهرا فى القضاء ولم تكن لتحيد عن حق اتى بكتابــه

وقال يمدح الطبيب الفاضل البشرى :

ولم يك حب المال مما ترومه ولكن هما للسقيم بأن يبرا
وكم زرت مرضى فى ديار بعيدة مضاجعهم مما عراهم غدت جمرا
وخففت عنهم مابهم من وجيعة وعدت وابراد الدجى تمطل الفجرا
وثغرك بسام وبشرك طيــب وللبشر فى الانسان ما اضحك الثغرا

وكان الكردى يستغل المناسبات التى يكتب فيها شعرا لاصدقائه — مادحا او مهنئا ، او راثيا — ليقف موقف الواعظ المرشد ، يصوغ الحكم ويزجـــى

النصح ، وينقد الحياة ، ولعل قصيدته التي هنأ بها صديقه " منصور افندي " بمولودته ، تعبر عما نرمي اليه . فقد جاء في اولها :

حتى في المهد مصطفية بنت الماجد الفاضل الكريم الجواد

ففي هذه القصيدة نصائح للمرأة بان تتزين بالعلم لا بالاطواق والابراد ، وان تتحلى بالجياد . ثم يتطرق الى المسائل العامة ، يتحدى عن الشرق وما آل اليه وعداء الغرب للشرق ، وضياع فلسطين ثم يتحدث عن الاستقلال والنضال الشاق في سبيل تحقيقه .

وهكذا يفرغ الشاعر كل ماعنده في هذه القصيدة التي اراد ان يهنئ بها صديقه بمولودته ، وفي هذا اشارة لما سنتعرض له مستقبلا من اسباب طول قصائد الكردي[1] .

واما ماكتبه الكردي من شعر في الزعماء الدينيين الثلاثة ،السيد علي الميرغني ، والسيد عبد الرحمن المهدي ،والشريف يوسف الهندي ، فدوافعه مختلفة ، منها عقيدته في الميرغنية ،ومنها مجاراة للعرف اذ اعتاد الشعراء مدحهم ، تجلة

---

(١) انظر ص

واحتراما ، ولم يخرج مدحه لهم من نسبتهم الى النبى ، وعلمهم وزهدهم وورعهم ، وكرمهم • غير ان السيد عبد الرحمن حظى بصفة لم يحظ بها رفيقاه ، وهى صفة الزعامة السياسية :

مرحبا بالخير من يرجى اذا — روع الاقوام خطب مدلهم
عدت والسودان قامت حوله — ضجة منها لقد زل القدم
ومن الاحزاب قوم شرهم — هاج حتى صار من بعض النقم
باسهم اضحى شديدا بينهم — بخلاف سوف يفضى للندم
وبهم اهواؤهم قد جنحت — لشقاق ساء والجمع انهزم

هذه القصيدة كتبت فى السابع من سبتمبر عام واحد وخمسين وتسعمائه والف ، والكردى لم يمدح السيد عبد الرحمن الا فى نهاية الاربعينات بينما مدح السيد على الميرغنى قبل هذا التاريخ بكثير ، خاصة فى الثلاثينات وربما كان تفسير ذلك هو ، ان الكردى ، بعد ان احيل الى المعاش ، واستقر فى العاصمة ، تمت صلة بينه وبين السيد عبد الرحمن ، وكانت الظروف السياسية مختلفة عما كانت عليه فى الثلاثينات ، ودخل السيد عبد الرحمن المعترك السياسى سافرا ، راعيا لحزب الامة • وان مدح الكردى للسيد عبد الرحمن بهذه الصفة يؤكد ماذكرناه من ان الكردى لم يكن ذا اتجاه سياسى محدد ، وبالتالى لم يكن ولاؤه لزعيم سياسى

بعينه . وربما كان هنالك من الدوافع مالخفى علينا .

والكردى شاعر عطوف ودود ، يتعاطف مع الجماعات كما يتعاطف مع الافراد ، فعندما اكتسح السيل مدينة عطبرا كتب قصيدة نشرت سنة ١٩٢١ فى كتاب شعراء السودان جاء فى اولها :

صبر الكرام على الخطوب جميل والحادثات بقاؤهن قليل

وشاهم فيها ، ودعا الى مواساتهم ومساندتهم .. قال :

انى لارثى ان ذكرت شقاءكم والحزن يبعث عبرتى فتسيل
ولئن رثيت لكم فان مصابكم ابناء امى فادح وثقيل
من ذا يواسيكم بمالفى الورى والمحسنون من الرجال قليل
او من يرق لكم ويرحم صبية آباؤهم صفر اليدين كهول

وعندما زار سواكن بعد ان هجرها اهلها ، آلمه خرابها ، فكتب يقول :

كل يوم فى مساكنها يأذن البنيان بالوهن
وهو اذ ينقض يحزننى او يخر السقف يفجعنى

ولما لم يجد في اطلالها ، سوى العجزة والمسنين ، ولم يجد من يكلمه ممن عرفهم ودرج معهم على ثراها ، اجهش بالبكاء :

قسما لم يبق فيك سوى	مدنف ذي كبرة زمن
وامرئ يشقى ويقعده	فيك حب النفس للوطن
طفت احياء الربوع فلم	الف انسانا يكلمني
وعرتني حسرة وجرى	دمع آماقي فخددني

وهكذا عاش الكردي ، يصطفي الاصدقاء ، ويتخذهم درعا له في الملمات ، يتعاطف معهم ، يمدحهم ويهنيهم ويرثيهم .

الجانب الروحى

كان الكردى متدينا ، يحفظ القرآن الكريم ويكثر من تلاوته ، وكان يغشى مجالس العلم خاصة فى السنوات التى قضاها فى صحبة الشيخ مجذوب جلال الدين فى الدامر وامدرمان . وكان ذا عقيدة فى الختمية آمن بنفعهم له فى دنيـــاه واخراه ، ويدفع الشر عنه ، كما اعتقد فى الاولياء اعتقادا يصل درجة الخرافة .

والكردى ربح من تدينه وتقواه ، قطهير نفسه من الرجس ، وربـــح خشية الله سبحانه وتعالى :

حسبى من التقوى رباحا اننى	طهّرت من رجس الذنوب ثيابى
وخشيت رب العرش جل جلاله	وعرفت فى الرجعى اليه متابى

كان الكردى موءمنا ايمانا لم يشبه شك ولا ارتياب ، وقد ثبت لـــه وجود الله من قدرته التى تجلت فى تنسيق الطبيعة والكون ، فعبر عن ذلــــك بقوله :

جلّ من بالعلم لحصى	عمل الاقوام عـــددا
جعل الارض بساطـــــا	فغدت للناس مهــــدا
ثم احياهـــــا بقطـــر	ممرع غــــورا ونجـــدا

وكساها بعد محل | من بهيج النبت بردا
اخرجت بالزرع حبا | قد ادار العيش رغدا

ويسير على هذا النهج ، ولصفا الجنات ، تفاحها ورمانها ، عنبها وازهارها مؤكدا بديع صنع الله .

ويميل الكردى الى الاخذ من القرآن الكريم ، الذى اعتمد وصف الطبيعة والكون حجة لاثبات وجود وقدرة الله ، فنستمع اليه يقول :

سبح بحمد الواحد الخلاق | رب الانام مقسم الأرزاق
وانظر لصنع منه تلق عجيبة | فى كل مايبدو على الاطلاق
رفع السماء ومالها عمد يرى | فاذا النجوم بها عقود تراق
والبدر قدره منازل فى العلا | وتمامه ابدا حليف محاق
لا الشمس تدركه ولا ليل سجى | بعد النهار ولات حين سباق
والكل فى فلك المشيئة سابح | غسق ونور لاح بالاشراق

واضح انه اخذ قوله تعالى (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى ، يدبر الامر ، يفصل الآيات

لعلكم بلقاء ربكم توقنون) [١] وقوله تعالى (والقمر قدرناه منازل حتى عـــــاد
كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في
فلك يسبحون) [٢] .

والكردي يقول ايضا في هذا المعنى :

وكم لربك من صنع بانفسنا ما ان تحداه بالالحاد سداج
الم تكن نشأة الانسان اولهـا من نطفة هي في الارحام امشاج
قد عقل المرء بل ماشاء ركبه في صورة حسنها الوضاح مبهاج

وقد اخذه من قوله تعالى (هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكـن
شيئا مذكورا . انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصـيرا) [٣]
ومن قوله تعالى (يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلـك
في اي صورة ماشاء ركبك) [٤] .

والكردي الذي عاش جزءا كبيرا من حياته في اضطراب وقلق ، يخشى

---

١ سورة الرعد / ٢
٢ يس / ٣٩ـ٤٠
٣ الدهر/الانسان / ١/ ٢
٤ الانفطار / ٦ـ٨

الحسود والعدو والمتربص به ، يجد في ايمانه قوة تحميه وتمنعه :

حسبي الله وهو نعم الوكيل　　من حسود ومن عدو يصول

ويشكو الى الله سبحانه وتعالى :

لك اشكو ربّ حظا　　منّ حينا ثم اكدا
وزمانا لايواتي　　غير كل عاش وغدا
ومنى في النفس اضحى　　وصلها يزداد بعدا

هذه الشكوى يعقبها طلب الشاعر الى ان يدفع عنه العسر ، ويهبه الرفد والخير :

وادفع العسر وهب لي　　منك ما املت رفدا
وافسح العمر وهيء　　كل خير منك يسدى

وهو لايطلب الدنيا وحدها ، وانما يطلب ثواب الآخرة ونعيمها :

رب واسلك بي طريقا　　هي للايمان اهدى
وتجاوز عن قبيح　　في الصبا قد كان عهدا

. . . .

وقني بالامن رعبا　　اذ تسوق الناس وردا
لعذاب ساء يشوي　　ناره عظما وجلدا

ونجد ــ الى جانب هذا الشعر الالهى ــ كثيرا من قصائد المدح النبوى التى اتبع فيها نهجا/ يكاد يكون متشابها فى كل قصائده ، وهى البداية بالغزل ، ثــم الحديث عن حال الجزيرة العربية قبل الدعوة ، وما حاق بها من فساد وانهيــار فى الاخلاق ثم ظهور الاسلام واسراء الرسول ومعراجه وحروبه ضد المشركين ، وانتشال العرب مما ترد وا فيه ، ثم مدح النبى وذكر خصاله وخلقه ، واخيرا سؤال والتوسل الى الله وطلب الشفاعة للشاعر وآله وصحبه :

واشفع له ياشفيع العالمين غدا … لعل بالعفو قد تمحى خطاياه

لم يلف غيرك ذا فضل يلوذ به … وحصن جاهك يامولاى آواه

يخاف من كرب يوم قد يطول به … حساب من يعلم الاسرار مولاه

. . . . … . . . .

وقل لدى العرش آمن ربنا معه … محمدا وصلاح الدين ابنـــاه

والحق به الادنين قاطبة … وصاحبا بوداد كان يرعـــاه

———

~~(١) ـــ انظر (أ) مجموعة النفحات الربانية للسادة الميرغنية وغيرهم ، شركة مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر الطبعة الاولى سنة ١٩٥٠ وانظر ايضا :~~

~~Religious confraternity in the Sudan, by Wills~~

ونلتقى — فى الجانب الروحى عند الكردى — باعتقاده فى الميرغنية وطريقتهم الختمية [١] ، فهو القائل :

انى لاهواهم واعرف حبهم ... فرضا لقد جاءت به الآيات

واحب آل الميرغنى محبة ... وابيك ليس تشوبها الدعوات

ويقول فى مؤسس الطريقة ، الشيخ محمد عثمان الميرغنى الختم :

وجلال تكريم لشيخ طريقة ... مثلى بها الرشد انجلى وانارا

وهو يعشق هذه الطريقة :

حبى لها حب الفرزدق ماسلا ... من وجده بعد الطلاق نوارا

وكما توسل الشاعر بالنبى ، توسل كذلك بالاولياء والصالحين ، وها هو يطلب شيخ الطريقة الختمية ان يسأل له الله الرضى ودوام العافية :

خير الجزاء لشاعر من صالح ... دعوات يمن تذهب الاعسار

فامنن بها واسأل الهك لى رضى ... يسع التى اسلفتها اصرارا

ودوام عافية ونحو كلها ... هى اقبلت تتجنب الادبارا

---

(١) انظر (أ) مجموعة النفحات الربانية للسادة الميرغنية وغيرهم ، شركة مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر الطبعة الاولى ١٩٥٠ وانظر ايضا :
(ب) Religious confraternity in the Sudan, by Wills

وقد ورد ذكر التوسل بالانبياء واهل بيت النبوة واهل الخير والصلاح عند الاستاذ عبد المحمود نور الدايم ، الذى اعتمد على ماجاء فى البخارى عن انس ان عمر بن الخطاب كان اذا قحط استسقى بالعباس بن عبد المطلب [1] .

وقد ورد مثل هذا فى " الواردات الوهبيه " [2] فى معرض الحديث عن آداب الدعاء ، فيمكن للمريد ان يتوسل (بالانبياء والاولياء خصوصا استاذه والاعتراف بالعجز والفقر واظهارا لمسكنة والخضوع) .

والكردى ، بالاضافة الى هذا ، يوء من بكرامات الاولياء ، والصالحين ، فهو القائل فى كرامات المجذوب الكبير :

ولك الكرامة كالعصا برهانها ماشك فيه من الانام مريب

عجبا اكمت الطهر موسى حينما جئت البسيطة والضلال عصيب

---

(١) النصرة العلمية لاهل الطريقة الصوفية ، مطبعة مصر الخرطوم — الطبعة الاولى سنة ١٩٥٦ .

(٢) الواردات الوهبية فى إوراد الطريقة المجذوبية لمحمد المجذوب بن قمر الدين وقد استخلصه من كتاب الوسيلة الى المطلوب وغيره جامعه محمد المجذوب بن محمد احمد بن جلال الدين — ص ١٨

ام كنت ذياك المسيح فطالما ابرأت داء حار فيه طبيب

ام كنت احمد اذ اتيت منبئا بعلوم غيب سرهن عجيب

ويعتقد ان السيد محمد عثمان الميرغني انطق الاشجار :

وله الكرامات التي من بعضها في يوم حفل انطق الاشجارا

ولا بد ان يكون الكردي قد استمع الى احاديث الكرامات مما يتداولـــه المريدون والتابعون في مجالسهم • وقد ورد ذكر كثير من كرامات الميرغنية في كتاب " النفحات الربانية " [1] •

والمتتبع لشعر الكردي في هذا المجال ، يستطيع ان يحس شيوع النزعة الصوفية ، من ابتهال وتضرع وشكوى • وليس هذا بغريب عليه فهو متدين ، متأثر بآراء رجال الطرق الصوفية ، وبكبار شعراء الصوفية من امثال البوصيري والبرعي [2] •

---

(١) النفحات الربانية للسادة الميرغنية ـ انظر من كرامات السيد محمد عثمان الميرغني ص ٤٦

(٢) انظر " التقليد والعاطفة الصادقة " ص

حياة التنقل

ذكرنا ان الكردى كان يعمل موظفا فى حكومة السودان وانه تنقل كثيرا فى مدنه المختلفة ، وربما كانت طبيعة عمله تتطلب هذا التنقل ، وربما كان لاختلافه مع روءسائه الناتج عن حدة طبعه ، سببا فى تنقله الكثير[١] وهو القائل :

غيرى يسود وان طلبت مكانتى قالوا اساء وابرقوا بوعيدى

والتهديد بالنقل ، بالنسبة للموظفين يكون وعيدا احيانا .

والكردى يتحمل مشاق السفر والاغتراب ، لانه يكدح وراء الرزق الذى يجشمه الصعاب :

فى كل يوم لى بظعن رحلة ذات السنام غدت بها حدبارا

وابن البخار يجوب بى فى نفنف كدما لعيش لايزال حتارا

وهو قد ألف هذه الحياة ، وهذه المشقة ، وسوء الحال :

وانا فتى فى الناس حالفت السرى بنجيبة تطوى لها الفلوات

والدهر جشمنى العناء وساء لى حال وهدت عيشة وحياة

---

(١) حدثنى بذلك الشيخ عبد الله السنوسى .

وفى تنقله يحس الغربة ،ويبحث عن الاهل والاصحاب :

وحططت فى مدنى الرحال بعيدما لاقيت هولا دونه الهلكات
وغدوت لا اهل ولا صحب بهم يوما نزجى للفؤاد صلات
ناء عن الاوطان لى عن اخوتى واهيل ود ى غربة وشتات

والشاعر لايريد ان يستسلم لهذه الغربة حتى تسحقه ، بل يبرر اغترابه ، فهو مبعث العزة ، وسبيل المجد ، ~~وماغربة الانسان~~

وماغربة الانسان للعز حطة اذا نال منه الضيم حيث يقيم
ولا المجد الا نجعة فوق جسرة لها فى اياديم المهاد رسيم
جمالية تطوى الفلاة كأنها لدى السير من فرط الاران ظليم

اذن فالشاعر بتنقله هذا ،يحاول ان يبعد من الضيم ، بحثا عن المجد والعز ، ولكن يبدو ان هذه اوهام فالشاعر انّى حلّ وجد الذل والضيم ، فيشد الرحال مرة اخرى كارها او مختارا ، جريا وراء مبتغاه ، ومن اجل ذلك يقول

يجد المرء فى طلب الامانى ويكسل كل هياب جبان
لقد عرف الدجى فى الوخد صبرى وليث الغاب حاذر ان يرانى
وكم نبهت فى البهماء سربا من الآرام راح وما درانى

والذى يطلع على شعر الكردى ، فى وصف هذه الحياة المتنقلة ، يحس ان الكردى عاش عمره كله على ظهور الابل ، او داخل عربات القطارات ، بل ربما تداعت الى ذهنه صورة تلك الفئة من الاكراد وغيرهم من سكان آسيا الذين الفوا حياة الترحال والتنقل ، بعد ان اجبروا عليها ، تلك الصورة التى ترويها (قصة الجهاد الشاق من اجل لقمة الخبز ، ويبرز فيها خيال رومانطيقى يأخذ بالابطال الى طريق الاهوال الغريبة اذ يعلل هؤلاء حياتهم البائسة ولا يجدون سبيلا سوى البحث هنا وهناك عن الثروة او عن القوت فقط . فقد وصف ابطال هذه الحكايات بأنهم " تحت ضغط الفقر واليأس تاهوا فى البلدان ")[١]

ولو وجد الكردى سبيلا ، غير العمل الحكومى ، لكسب قوته ، ولو وجد استقرارا مع العمل الحكومى ، لما تنقل وتاه فى البلدان .

---

(١) الواقعية فى الادب الكردى ص ٣٤/٣٥

العاطفة السائدة

لكل فرد عاطفة سائدة تطغى على كافة عواطفه الاخرى ، تدفعه الى القيام بسلوك معين ... كأن تكون عاطفته السائدة محبته لذاته ، فهو يصرف كل وقته نحو شخصه ، يعطف العطف كله على من يعظمونه ، ويحقد الحقد كله على كل فرد يحاول ان ينال منه او يحتقره [١] .

هذا ماكان من أمر الكردى ، اذ ان العوامل المختلفة التى عملت على حرمانه وفشله ، جعلته يشعر بالضعف والنقص ، والهبت فيه عاطفة محبة الذات ، التى جعلته يتشامخ على المجتمع ، ويرى انه فوق الناس جميعا ، ويتخذ موقفه من الناس حسب معاملتهم له ... ~~وانى x لمثل x الصاب x~~

وانى لمثل الصاب مرّ لباغضى — وحلو لاقوام لقد حفظوا ودى

فعندما يجهل شخص مكانته ، ويزدرى به ، يستيقظ فى نفسه الجانب المر :

وان كبرياء جهلت مكانتى — فقدما جهول الناس بالفضل لايدرى

وما أنت يوما بالغ شسع اخمصى — ولا بعض مقدار القلامة من ظفرى

ويستيقظ الجانب السمح فى نفسه عند الثناء عليه والتنويه به ، فها هو يثنى على الشاعر توفيق صالح جبريل بقوله :

---

(١) الحياة النفسية والعقلية ، حامد الخشاب — دار الاتحاد للطباعة والنشر ص ١٨٩ .

ياشاعرا يزدهي عصر القريض به — وخير من هذب المعنى اذا نظما

اطريت شعري وجددت الفخار له — حتى تعطى فضلي للورى علما

اشبهتني غير ان العمر مختلف — انت الفتى وانا الشيخ الذى هرما

وما ذلك الا لان توفيقا اشاد به في قصيدة اعتذار جاء في اولها :

وارحمتاه لقلب زاده ألما — قول الوشاة فابدى الدهر ماكتما (١)

وفيها يقول :

ياسيدا فاضلا طابت ارومته — وشاعرا لسماء المكرمات سما

فللمسالم تحميه .. وترفعه — وللعدو تكون الصارم الخزما

ولا يخفى ان توفيقا عرف نفس الكردي فوصفها وصفا يريح صاحبها . كما لايخفى مافي ابيات الكردي من اعتزاز بنفسه .... (وكم صغير الى اوج الكمال سما) .

وان ماذكرناه من تعصبه للاكراد واعتزازه بنسبته اليهم ، يشكل جانبا هاما من جوانب الثقافة الى ذاته وتمييزها من الاخرين بهذا النسب الملوكي (٢) .

والشاعر في مواجهة المجتمع والزمان والناس والحظ ، يعطينا احساسا بانه

---

(١) عثرنا عليها ضمن اوراق الكردي

(٢) انظر " العصبية الكردية " ص

متماسك وانه لايضعف امام الالام والمصائب التي يرميه بها الزمان الجائر والحظ العاثر ، وان مايظهر من شعره من شكوى وحزن انما هو بكاء على مجد قومه الذى ذهب :

ألم تر انني ماضقت ذرعـــا	بدهر في تجنيه اعتـــداء
ومنذ درجت في الغبراء اضحى	شعاري لا اسىء ولا اساء
وما ان همت في اطلال ليلى	ولا من مدمعي نال البكـاء
ولم اندب سوى مجد لقومي	على آثاره دلّ البنـاء

وماذلك الا انه شخص غير الآخرين :

وانا الفتى المعروف فضلي والذى	مالي سوى كسب الثناء عيوب
....	....
والحلم فيّ سجية لكـننـي	عند الحفيظة عابس وغضوب
....	....
لا عيب فيّ سوى يد اطلقتها	لصنائع محمودة برغـاب

وهو يعتقد ان هذه الصفات نعمة من نعم الله عليه وكل ذى نعمة محسود :

ويح الحسود فانه من نعمتي	متعذب دامي الفؤاد كئيب

ومن الصفات التي ينسبها الكردي الى نفسه ، ويكرر ذكرها في قصائده ، صفة الشجاعة ، فنراه دائما يرسم صورة لمعارك وهمية ، فتستيقظ في نفسه حالة دونكشوتية ... يحمل سيفه ويعمله في رقاب مقاتليه ، وتكثر هذه الصور في قصصه ومغامراته الغرامية . ففي قصيدته التي مدح بها صلاح الدين الايوبي والتي مطلعها :

ياربع مالفؤادي منك مصطبر — واهلك البدو لي في وصلهم وطر

يصف ليلة قضاها في خباء محبوبته ، ولما اشرق الصبح خرج ليجد اهل الحي متأهبين للقتال . ويحدثنا الشاعر بانه قاتلهم وانتصر عليهم :

فهجت عضبا لقد نيطت حمائله — بمنكبي حيث مالي غيره وزر

وخضتهم بكميت فذ صافنة — معود الكر بحر راضه اليسر

فما وجدت لهم صبرا وضاق بهم — من حملتي بين تلك القفرة البهر

وارتد كل على آثاره جزعا — بذلة لم يكن يرضى بها البعر

اذ تيامنتهم طفحا سمعت فتى — يقول خاب الذي بالجن ينحدر

ان لك الفارس الكردي صارمه — يردنا عنه اشتاتا وينتصر

وواضح ان الشاعر اراد من تخيل هذه المغامرة ان ينفس عن نفسه باظهار شجاعته التي تجعله يقتحم حمى البدو ، وهو يعلم اباءهم ودفاعهم عن العرض . ولكن

يقوى احساسنا بالشجاعة • يجعل الحمى محروسا بحراس ايقاظ ، وعندما يعلمون بوجوده فى ذلك الخباء ينتظرونه متأهبين للقتال ، ولكن الشاعر يهزمهم بمفرده وينتزع الاعجاب من افواههم •• ، كل ذلك تنفيس عن تلك النفس المظلومة المضطهدة التى تتمنى ان تصرع اعداءها وزمانها الجائر •

ولعل الصفة التى ملأت نفسه كبرا وزهوا وتفاخرا ، هى الموهبة الشعرية ، فتكاد لاتخلو قصيدة من قصائده من ذكر انه شاعر وانه نابغة فى الشعر • فمثلا عندما يتحدث فى ذكرى المولد يقدم نفسه للرسول الكريم بوصفه شاعرا عوّد الناس الجيد من شعره :

لبيك مولاى طول العمر من رجل ... امسى بدينك فى حصن من النوب
قد عوّد الناس فى الميلاد وقته ... يشدو بمدحك مثل البلبل الطرب
اطاعه الشعر فى مدح عناك به ... فصاغ منه جديدا غير مقتضب
ولم يزل بك يغريه البيان الى ... مدح لذاذته احلى من الضرب
يستاف كالزهر الا ان رقته ... كم بالهوى نفثت فى قلب مكتئب

حتى قصائد الرثاء لاتخلو من افتخاره بشعره ، وقد فعل ذلك عندما رثى اخته :

ولئن اجدت فى الرثاء لطالمـــا ابكيت من بالخطب ليس يبالى

او كنت شاعر محفل فانا الذى ماضاق يوما فى القريض مجالى

ويرى الكردى انه باعث نهضة الشعر ، وحامل راية الشعراء :

وبعثت روحا فيه كانت نهضة سرت ببيدا ساكن الارمـــاس

وحملت للشعراء راية فضلهم ورفعتها بمعالـــم ادراس

وهو العبقرى الذى تعدى خبره حدود السودان ، وعرفه الشرق معرفة النيل له :

لاغرو ان كنت المجيد فطالما بالعبقرية فاض يرد لباس

الشرق يوقن ~~بانى~~ بعرفى شاعـــر عضبى اليراع وصعدت قرطاسى

والنيل يشهد اننى فى روضه لقحت بالآداب كل غراس

وليس غريبا بعد ان تحلى الشاعر بكل هذه الصفات ، ان ينأى بنفسه عما يهتم به الناس .... ويسوق مثلا لذلك جريهم وراء " الرتب " ، التى غررت بهم ، وفتنتهم :

انا ياصاح فى زمـــــن اهله عاجوا لكل دنـــى

ملكت اهواءهم رتـــب رفعها خفض لدى الفطن

كلما تاهو بها عجبـــــا واختيالا قلت واحزنـــى

لا رعاها الله من رتـــب غررت بالكهل واليفـــن

وقد زهده هذا التكالب على الرتب ، فى الناس :

تلك وايم اللـه شنشنـة　　　فى بنى الدنيا تزهدنى

وطبيعى بعد هذا ان يتشامخ الكردى ويرتفع بنفسه عن هذا السفه :

فليعلم السفهاء انى فوقهم　　　علما وشأن بالذكاء عجيب

وبرغمهم احرزت كل فضيلة　　　فى بروقى منها تضيق جيوب

وانا الفتى المعروف فضلى والذى　　　مالى سوى كسب الثناء عيوب

وهكذا عاش الكردى فخورا بنفسه ، محبا لذاته متشامخا على الناس .

والكردى فى فخره بنفسه يذكرنا بشعراء سابقين له ،ولا سيما الشاعر العربى الكبير ابو الطيب المتنبى ، والذى يقول :

انا الذى نظر الاعمى الى ادبى　　　واسمعت كلماتى من به صمم

انام ملء جفونى عن شواردها　　　ويسهر الخلق جراها ويختصـم

ويقول :

ومرهف سرت بين الجحفلين به　　　حتى ضربت وموج البحر يلتطـم

فالخيل والليل والبيداء تعرفنى　　　والسيف والرمح والقرطاس والقلم

صحبت فى الفلوات الوحش منفردا　　　حتى تعجب منى القور والاكم [1]

ولنا وقفة مع التقليد فى شعر الكردى [2] .

---

(١) ديوان المتنبى - عبد الرحمن البرقوقى ، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة ، الجزء الرابع ص ١١٠

(٢) انظر : " التقليد والعاطفة الصادقة " ص

الباب الثالث

فــن الكردى

تــعــريــف

لم يترك الكردى ديوانا مطبوعا وانما ترك تراثا شعريا ضخما فى مسودات ومخطوطات بالاضافة الى ما نشر فى الصحف السودانية والمصرية والسعودية .

ولكى ندرس اتجاه الكردى الفنى ونضعه فى مكانه الصحيح ، نود ان نلم المامة سريعة بنظرية الاطار التى عرضها الدكتور مصطفى سويف فى كتابه " الاسس النفسية للابداع الفنى " وقد توصل اليها بعد أن استجوب عددا من الشعراء ، وبعد ان اطّلع على مذكرات ورسائل لشعراء آخرين ثم استنتج ان الاديب يهتم (باستيعاب اكبر قدر من الاعمال الادبية وخاصة مايراه اهم هذه الاعمال)[١] ووجد عند بعض النقاد والكتاب القدامى مايدل على معرفتهم لاهمية اطلاع الاديب على اعمال من سبقوه فى الادب باعتباره شرطا للابداع . بل ان بعض النصوص لتشير بتوجيه معين لهذا الاطلاع . ويسمى دكتور سويف هذا بالاطار . وبعد ان يورد نصوصا للجرجانى وابن الاثير وابن خلدون والبستانى يقول (تحتم علينا هذه النصوص

---

(١) الاسس النفسية للابداع الفنى : د . مصطفى سويف
ص ١٥٨

مناقشة مسألتين الاولى اكتساب الاديب الاطار عن طريق الاطلاع على الاعمال الادبية ، والثانية يشترط ان تكون عملية الاطلاع "التلقى" بوجه عام منظمة تنظيما خاصة)[١] ويستنتج دكتور سويف من دراسته (ان الشخص يحمل عدة اطر فى وقت معا تبعا لشتى نواحى التحصيل التى تتعدد بتعدد مظاهر النشاط لدى الفرد)[٢] ومما استنتجه ايضا ان الاطار عامل تنظيم لفعل الشخص وعليه فان الاطار الذى من شأنه ان يسيطر علـــى توجيه الفعل يلزمه درجة معينه من " القوة " يفوق بها سائر الاطر وعلى هذا فـان الشاعر بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة شخص يحمل اطارا شعريا اقوى من كل اطـــــر التعبير الاخرى[٣] .

والكردى باطلاعه على ادب الاقدمين والمعاصرين له شعرا ونثرا ، كون اطارا شعريا اصبح اداته التعبيرية وقد ظل الكردى حبيس اطار عصره الفنى ، فى معظم ماكتب من شعر ، اذ ترسم خطى الاقدمين وخطى شعراء عصر النهضة من امثال البارودى وشوقى ، فى اتباعه الجزالة والفحولة والرنة الخطابية فى الاسلوب .

وان كان الاطار يفسر لنا الاسلوب الذى اتبعه الشاعر فانه ايضا (يستطيع ان يحل لنا عدة مشكلات هامة كهذا التشابه الذى نلقاه بين اعمال الفنان الواحد وهذا

---

(١) الاسس النفسية للابداع الفنى . د . مصطفى سويف ص ~~xxxx~~ ١٦٠
(٢) نفسه ص
(٣) نفسه ص ١٦٢

التشابه الذى نلقاه بين اعمال عدد من الفنانين فنقول انهم اعضاء مدرسة واحدة)[١] .

فشعر الكردى متشابه لحد كبير ، تكاد بعض قصائده فى موضوع معين ، تغنى عن قصائد لخرى فى نفس الموضوع ، خاصة قصائده الالهية والنبوية ، والمراثى والمدائح . كما أن بعضا من قصائده ، تذكرنا بقصائد معروفة لشعراء آخرين ، بالاضافة الى ما نجده فى شعره من اصداء الشعر العربى فى مراحله المختلفة .

ولكن جدة بعض المواضيع فى عصره ، والتجارب الذاتية التى مر بها ، اكسبت جانبا من شعره جدة فى الافكار والعواطف ، شأنه فى ذلك شأن الشعـــــراء المعاصرين له[٢] .

التقليد والعاطفة الصادقة

فرض " الاطار " ، اتجاه التقليد على الشاعر ، فى المبنى والمعنى ، فالتزم البحر الواحد والقافية الواحدة ووحدة البيت ، ومال الى الجزالة والفحولة والرنة الخطابية فى الاسلوب ، واختار الابحر الطويلة ذات التفعيلات المكتملة فنظم معظم شعره فـــــى

---

(١) الاسس النفسية للابداع الفنى . د . مصطفى سويف ص ١٦٣

(٢) الاتجاهات الشعرية فى السودان — محمد النويهى معهد الدراسات العربية العالية ، ص ٤

الكامل والبسيط والهزج والطويل [1] مما يتناسب مع المدح والفخر والرثاء وغيرها من المواضيع التي تناولها في شعره •

ويتضح التقليد في شعرالكردي اكثر ما يتضح في الغزل ، فالمرأة عنده تمثال يقف امامه يصوره في ثباته وجموده ، يحرص على ان يصفها من رأسها الى قدميها :

ذ اك الحمى متمتع بكماتـــه	حيث الرماح تذ ود عن ظبياته
وبه غزال اهيف متحمــــد	قتلى فكم حاذرت طعن قناته
الشمس تاج فوق مفرق رأسه	والبدر منسوب الى هالاته
والفرع منه ملفـــع بغدائــر	سود تريك الليل في ظلماته
....	....
والجيد ليس بعاطل من حلية	فالدر والمرجان من لباتــه
والصدر يخزو بالنهود ومادرى	الرمان محسودا بعين حماتــه
وبدت انامله فارخص حسنها	نقشا يرى للنحل في طرقاتــه
....	....
وقوامه الفتان غصن مائــس	جار النسيم عليه في خطواته

---

(١) بلغ مجموع قصائده التي نظمها في هذه الابحر ، سبعا وتسعين قصيدة

فاذا اراك السمهرى فانه قدّ توق الفتك من طغياته

بابى هضيم الكشح ذوالحورالذى كحل الظباء يلوح فى حدقاته

فنحن لانستطيع ،ان نتبين ، فى هذا الشعر ، ملامح امرأة بعينها ، وربما لو جمعنا هذه الصفات مجسمة لتكوّن شئ آخر غير ان يكون امرأة ، فالمرأة غزال والشمس تاج لها والبدر منسوب الى هالاتها ،وشعرها كالليل وعيونها سقيمة وقوامها غصن ، الى اخر ماورد فى القصيدة من تشبيهات • هذا بالاضافة الى اننا لانجد " الشاعر " ولانسمع صوت عاطفته ، فقد ضاعا فى وسط هذا الركام الهائل من التشبيهات المكرورة • ولعل من الخير ان نذكر هنا ان كل شعرالكردى الغزلى هو عبارة عن مقدمات تقليديـــة للقصائد ، وعندما يتخلص الكردى فى بعض مقدماته من هذا اللون من الغزل يقع اسير تقليد شعراء الصوفية فى مثل قوله :

يمينا جيرة الجــزع بذات الرجع والصدع

وركن ظل مستلمـــا ويمن الشفع والوتر

هواكم كل آونـــة له نثر من الدمـع

وما يسلوكمو عـــنى جرى السلوان فى روعى

ومهما شمت دارتكم وغنّ الطير ذو السجع

ومخضـــر اراكـــتـه غدت فينانـــة الفــرع

عرتنى بالهوى ذكـــرى زمان مر فى سلـــع

فالهوى ، والدموع ، وذكر الاماكن مثل الجزع وسلع ورامه وغيرها ، وذكر وذكر البان والاراك والطير والحمام ، كلها وردت فى الشعر الصوفى ، فالبوصيرى يقول فى بردته :

أمن تذكر جيران بذى سلم　　مزجت دمعا جرى من مقلة بدم [1]

ويقول البرعى :

سمعت سويجع الاثلاث غنى　　على مطلولة العذبات رنّـا
اجابته مغردة بنجـد　　وثنت بالاجابة حين ثنى

واشتهر الشعراء المتصوفة ايضا بالحديث من لذة عذاب الحب والصد والهجران ، فى مثل قول البرعى :

ما الحب الا لقوم يعرفون بـه　　قد مارسوا الحب حتى هان معظمه
عذابه عندهم عذب وظلمتـه　　نور ومغرمه بالراء مغنمـه

وذلك فى قصيدته التى مطلعها :

خل الغرام لصب دمعه دمه　　حيران توجده الذكرى وتعدمه [2]

---

(١) ديوان البوصيرى ،تحقيق محمد سعيد كيلانى ، مكتبة مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر ١٩٥٥ص ١٩٠

(٢) ديوان البرعى

وقد ظهر اثر ذلك فى شعرالكردى ، فى مثل قوله :

رمت السلو يطيعنى فعصانى　　فى حب ظبى ناعس الاجفان
واذا ارتضت نفسى بصد　　عاشت منعمة مع الهجران

والجدير بالذكر ان الكردى خمس القصائد الثلاث التى ذكرناها للبوصيرى والبرعى . مما يؤكد تأثره بهما .

والكردى كثيرا مايروى ، بعد هذه المقدمات ، قصصا ومغامرات غرامية ... يسافر المسافات الطويلة ، يقطع البيد والقفار ، ويحط رحاله بليل ليغشى دار محبوبته ، المحروسة بالقنا والسيوف ، فيقتحم الدار ، وينعم بلقائها :

ودخلت بعدئذ خيام منعم　　امسى يغار البدر من قسماته
من انت ياهذا اضيف طارق　　ام خابط يمشى على عثراتـه
فاجبته انى فتى ذو حاجة　　والمرء كم يسعى الى حاجاته
فبكى وخفت الدمع يجرح خده　　وبدت شقائقه على وجناتـه
فمسحت لؤلؤه وقلت لك الفـــدى
نفســى وايــن العبد من ساداتــه
....　　...............
فدنوت منه فقال انك مغــرم　　كره العفاف وهام فى شهواته

الا تكف عن الضلال رأيتني | نبهت من فى الحىّ من هجعاته
واتاك كل مغاضب لو انه | لاقى الخميس لخاف من غضباته

وليس هذا اللون من القصص جديد على الشعر العربى فقد عرفناه عند امرئ القيس وهو يصف ايامه بدارة جلجل ويوم ان عقر مطيته للعذارى ويوم ان دخل خدر عنيزة :

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها | لدى الستر الا لبسة المتفضل
فقالت يمين الله مالك حيلة | وما ان ارى عنك الغواية تنجلى ١

وقد تبع امرأ القيس ، كثير من الشعراء فى وصف هذه المغامرات ، وقد اشتهر منهم عمر بن ابى ربيعة ولعل قصيدته :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر | غداة غد ام رائح فمهجــــر ٢

تصور هذا اللون من الشعر خير تمثيل .

ومن شواهد التقليد عند الكردى هذا التخميس والتشطير الذى يقيد النفس

---

(١) ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر ، المعلقة فى ص ١٢ . راجع كذلك فى ص ٢٧ قصيدته التى مطلعها :
ألا عم صباحا أيها الطلل البالى | وهل يعمن من كان فى العصر الخالى
(٢) ديوان عمر بن ابى ربيعة ، دار صادر ــ بيروت ص ١٤٩

ويلزمها مشاركة نفس اخرى فى ميولها واحساسها ولكن بلا طائل [١] .

وقد ذكر حمزة الملك طنبل ان "التشطير" باب فتحته جريدة الحضارة ليتبارى فيه الشعراء (ثم اقفلته بعد ان حكمت لجنة التحكيم للفائزين فى التشطير) [٢] وليس بالضرورة ان ينطبق هذا القول على الكردى ، ولكنه يكشف لنا دافعا من دوافع التشطير ، يمكن ان نضيف اليه ان اعجاب الشاعر بقصيدة معينة يدفعه الى تشطيرها او تخميسها .

وان ماورد فى شعر الكردى من المحسنات البديعية ان هو الا رواسب من عصر الانحطاط الادبى ، وتأثر الكردى به ومثال ذلك قوله :

ورب عذار فوق صـــــدغ — كأن الموت منه على اقتراب

شقيق الواو الا ان قلبى — شكى من عطفه عنت العذاب

وتكثر المحسنات فى شعر الهجاء كما اسلفنا .

ويظهر التقليد عند الكردى ، حتى فى تناوله للمواضيع الجديدة التى تتطلب صياغة تناسبها ، ومنها قوله فى وصف معارك الحرب العالمية الثانية متحدثا عن هتلر :

---

(١) الادب السودانى ومايجب ان يكون عليه ـ حمزة الملك طنبل ص ٣٨
(٢) نفسه ص ٣٩

وام باريس للهيجاء مندفعا   دفع الفنيق اذ استعصى على الرسن

حتى اذا ماقضى من فتحها وطرا   اصار اخبارها شرا على الاذن

وبات ينزو على غيد بها سفها   كما نزى العير في غاب على الاتن

فالخيال الذي يشبه اندفاع هتلر وجيشه باندفاع الفحل ، ونساء باريس بالاتن التي تنزى عليها العير ، انما هو خيال حبسه الاطار التقليدي وقيد انطلاقه .

ونجد الى جانب كل هذا ، كثيرا من الابيات التي تذكرنا بابيات اخرى مشهورة بنسبتها الى شعراء معروفين . فعندما يقول الكردي مخاطبا

غدوت للشرق في ارجائه علما   في رأسه النار لاتخبو من اللهب

انما يذكرنا قول الخنساء :

وان صخرا لتأتم الهداة به   كأنه علم في رأسه نار ١

وماقوله في وصف العيون :

ترى فيهن ضعفا وانكسارا   وهنّ العضب سلّ من القراب

الا صدى لقول جرير :

يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به   وهن اضعف خلق الله انسانا ٢

---

(١) ديوان الخنساء — دار الصادر — بيروت ص ٤٩
(٢) ديوان جرير — دار الصادر — بيروت ص ٤٩٢

وفى قوله :

ولم يكن الانس بالقينات يطربنى ولاعلى نديم الكأس قد طلقا

روح البارودى حين يقول :

سواى بتحنان الاغاريد يطرب وغيرى باللذات يلهو ويعجب

وما انا ممن تأثر الخمر لبه ويملك سمعيه اليراع المثقب (١)

وكما اخذ الكردى من الشعر القديم ، فقد اخذ من القرآن الكريم ، الذى يظهر اثره فى قصائده الالهية على وجه الخصوص ، فى المعانى التى تناولها وفى الاسلوب الذى عالج به تلك المعانى .

والكردى يقتبس اجزاء من بعض الآيات التى تتسق والوزن والشعرى ثم يكمل الصياغة ، يتضح ذلك من قوله :

" ان تنصروا الله ينصركم "(٢) ولاعجب ان يحرز النصر من للظلم يستاء

وقوله :

" حتى اذا فرحوا بما اوتوا "(٣) وطاب المخدع

---

(١) ديوان البارودى ، ضبطه وصححه وشرحه على الجارم ومحمد شفيق معروف ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٢ ـ الجزء الاول

(٢) سورة محمد /٧

(٣) الانعام / ٤٤ (حتى اذا فرحوا بما اوتو اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون)

وقد يأخذ المعنى ويصوغه صياغة لاتخفى تأثره بالقرآن : فحين يقول :

ألم تكن نشأة الانسان اولها   من نطفة هى فى الارحام امشاج

يشيرالى قوله تعالى (انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا)[1]

واخذ قوله تعالى (يسأل من فى السموات والارض كل يوم هو فى شان)[2] وقوله تعالى

(كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)[3] وصاغه فى هذين البيتين

شأنه لايزال فى كل يوم   آخذا بالرقى شأنا جديدا

كل خلق يفنى وربك باق   يرث الارض ملكه لن يبيدا

وليس هذا بمستغرب على الكردى الذى حفظ القرآن واكثر من تلاوته .

بقيت كلمة اخيرة فى التقليد ، هى ان الكردى ، استطاع ، فى كثير من شعره ،

ان يجيد النظم حتى كاد يقترب ، من الاصل الذى قلده . ومن ذلك قوله

يجد المرء فى طلب الامانى   ويكسل كل هيّاب جبان

لقد عرف الدجى فى الوخد صبرى   وليث الغاب حاذر ان يرانى

وكم نبهت فى البهماء سربا   من الآرام راح وما درانـــى

---

(١) سورة الدهر / الانسان

(٢) الرحمن / ٢٩

(٣) الرحمن / ٢٦ / ٢٧

احن الى العلا كحنين صب | يورقه الهوى مما يعانـــى
واصبو للمعالى حيث كانت | ولا ارضى المقام على الهوان
وعزمى فى طلاب المجد امضى | من العضب الرسوب المهند وانى
ونفسى نفس حر عودتـنى | لغير الفضل لا اثنى عنانى
اجوب سباسبا واروض صعبا | واحمل مايجشمنى زمانـــى

وقد سبق ان تحدثنا عن التقليد فى شعر الفخر فى غير هذا المكان [١] .

وليس معنى هذا ان شعر الكردى كله تقليدى ، فقد تناول بعض المواضيع التى لاتخلو من جدة ، اذا ماقيست بالشعر فى عصره [٢] ولا يخلو شعره من عاطفة صادقة ، يمكن ان نحسها فى شعره الوطنى ، وشعر العروبة ، والعصبية الكردية ولنستمع اليه ، على سبيل المثال ، فى حديثه للانجليز :

ضجت الارض والسماء من الكر | ب وظلم الانسان للانســان
وسئمنا الحياة فى الذى دهرا | وبدا ، ياسوئنا ، للعيان
ليت شعرى ، من مبلغ القوم انا | قد نظمنا الاشجان بالاشجان
ومللنا بقاءهم .. وودنا | لو تخلوا عن قطرنا السودانى

---

(١) انظر

(٢) انظر مكانة الكردى بين معاصريه من الشعراء ص

ومشوا للرحيل عنا خفافا واهابوا بالقاعد المتواني
وهتفنا يوم الجلاء وقلنا ارحلوا يارفاقنا بامان
بعدكم قد نعيش في الارض احرارا ونسعى للرزق فوق الرعان
ونشم النسيم طلقا ونحيا في نعيم بين الثمار الدواني
ونرى الضيق في العراء فسيحا ونهز ونزف البشرى الى الاكوان
ونقيم الافراح عاما ونزجي لبني القطر باقيات التهاني

وهذا الشعر لايخلو من جدة في المعنى ، ورقة في الاسلوب ، مصدرها هذه العاطفة الوطنية الصادقة ، التي تعبر عن نفس سئمت الهوان والذل ، وابت الظلم والطغيان ، وتطلعت الى الحرية والانطلاق .

ونجد هذه العاطفة ، اكثر وضوحا في شعره المرتبط بتجاربه الذاتية مثل ابياته التي وردت في رثائه للشيخ البشير جلال الدين والتي يقول فيها :

ولم اجزع لخطب او مصاب ولو اني على الم صبور
وماهاجت بي الاحزان حتى توسد لحده الندب البشير
....
اذا ماغبت احزنه غيابي واما جئت عاد له السرور

يفيض عليّ منه حنان قلب كأنى دونه طفل غريـــر

سمير والغريب بكل ارض من الخلطاء سلوتـه السمير

فهذا شعر صادق يعبر عن نفس الشاعر فى توقعها للاستقرار وبحثها عن الامان ، وقد وجد كل ذلك فى الدلو ، عند اصدقائه واوفيائه من امثال الشيخ البشير جلال الدين

طول القصائد

يجدر بنا ونحن نتحدث عن فن الكردى ان نشير الى مسألة هامة هى هذا الطول الذى لمسناه فى قصائده ، وسنحاول الكشف عن اسبابه ودوافعه .

فاذا اتخذنا مثالا للطول ، قصيدته التى كتبها فى ذكرى المولد النبوى الشريف سنة ١٩٣٧ ، والتى يقول فى اولها :

اشدو وغيرى يخطب ادب لعمرك يطرب

لولا ربيع لم تكـــن سراء نفس تذهب

نجدها تسير على النحو التالى :

يصف الشاعر ، بعد هذين البيتين ، شهر ربيع وبهجة حسنه ، ذلك الشهر الذى وهب له البيان فخصبت قريحته ، واستعادت ذكرى النبى الكريم الذى جاء هاديا ومرشدا للناس ، ولكن عاداه هؤلاء العرب الذين ساءهم ان ينكر هذا

اليتيم ديانتهم ويسخر باصنامهم ، ثم يصف هوءلاء العرب الهائمين بسلمى وهند والرباب وزينب يتغزلون ويبكون الربوع الدوارس ويتحدث عن شرورهم وحميتهم ، ثم يستطرد الشاعر فى ذكر صفات النبى الكريم الذى نشأ سمحا بين هوءلاء القوم ، فهو صفوة الرحمن وهادى الورى ، وطيب يعفو عن كثير من الهنات لايستفزه من سدر فى غيه لان خصاله رقت ولانه حليم .

ثم يفتخر الشاعر بانتسابه الى امة العرب ، ويشكو للرسول الكريم ماحاق به من خطوب ومالحق الاسلام من نكبات ، ومالحق باللغة العربية من اذى حيث اضاعها اهلها فاقوت ربوعها وتحول شاديها المغرد غرابا ناعبا وصوحت زهور رياضها . ليس هذا فحسب بل ان الحياة الاجتماعية والخلقية اصابها التغير ، فسما الجهول على الاديب ، ونعم الغر وشقى المفكر ، وافتخر الانذال وضن الاغنياء ، واثرى الغبى وافتقر الشاعر ، وفى زحمة الزيف وانقلاب القيم ضاع الدين واضرب عنه المثقفون .

ثم ينتقل الشاعر الى العراك الدائر بين دول العالم التى تخادع بعضها وتتحفز للحرب تدفعها المطامع التوسعية ، تدعى السلام وتحشد جيوشها وتعد العدة بحرا وبرا وجوا ، ويقول ان هذه القوة الرهيبة غرت بنى الطليان فطغوا ، ويرى الشاعر هذا الغرور وهذا الطغيان يتمثلان فى احد رجال الدين الايطاليين فى السودان ، الذى كان يظهر غير مايخفى ، يخادع الناس بانه حامى لغة الضاد وحامى الاسلام .

ويسخر الشاعر منه ويصفه بانه شيخ محدودب الظهر ، يغازل فى الظباء ، ثم يغشى الكنيسة راهبا متعصبا لاهلها ، ومع ذلك يدعى حماية اللغة العربية والاسلام . فينبرى له الشاعر مهاجما ومتهما اياه بالكذب ويذكره بصنيع الطليان فى بلاد الاحباش وكيف ساموهم العذاب اسرا وقتلا وتعذيبا وتشريدا . وتأخذ الشاعر الحمية فيرجع الى التاريخ ويشد معه ذلك الايطالى ويذكره بموقعة عدوة التى دارت فى اول مارس ١٨٩٦ ، وانتصر فيها الاحباش على الطليان ، ولكن ايطاليا تنسى هذه الهزيمة وهى تواجه هذه المرة اقواما عزلا بطائرات تصليهم شواظا من نار ، نسيت تلك الهزيمة لانها الآن فى مركز القوة والاحباش فى مركز الضعف . ثم يصور الشاعر بسالة الاحباش فى هذه المعركة الاخيرة ، على الرغم مما نزل بهم من هزيمة واندحار .

ثم يذكر الشاعر حال الشرق وما آل اليه ، ويضع الامل فى مصر وشعبها وقادتها ، ويمدح فاروقا وعمه ، وربما اراد عمر طوسون ، ويحدثنا عن مصر وطمها وحضارتهـــا وازهرها المعمور الذى جمع العلم واصبح نبعا للبلاغة والفصاحة والشاعرية .

وحين يذكر ابناء مصر وشجاعتهم تتداعى الى ذهنه صورة صلاح الدين الايوبى تاج الملوك الذى استكان له الغرب . ويعود مرة اخرى الى اهل الكنانة يتحدث عـن فضلهم ومعرفته بهم . ثم يعيد الثناء على فاروق وعمه ومصطفى النحاس وحزب الوفـد ويختتم القصيدة بقوله :

لازال كل مغـــوه　　　　عن فضل مصر يعـــرب

وعلى الرفاق بهــا ســلام　　　من عبـــير اطيــب

دون الرجوع — الى ذكر المولد وهو موضوع القصيدة الاساسى .

وفى البدء نقول ليس طول القصائد بالشىء الجديد على الشعر العربى فقد اشتهر به عدد من الشعراء واهتم به النقاد القدامى ومن بينهم ابن رشيق صاحب العمدة حين قال (حدثنا الشيخ ابو عبد الله عبد العزيز ابى سهل رحمه الله تعالى قال : سئل ابو عمرو بن العلاء : هل كانت العرب تطيل ؟ فقال : نعم ليسمع منها : قيل : فهل كانت توجز ؟ قال : نعم ليحفظ عنها . قال : وقال الخليل بن احمد : يطول الكلام ويكثر ليفهم ، ويوجز ويختصر ليحفظ . وتستحب الاطالة عند الاعذار والانذار والترهيب والترغيب والاصلاح بين القبائل ، كما فعل زهير والحارث بن حلزة ، ومن شاكلهما ، والا فالقطع اطير فى بعض المواضع ، والطوال للمواقف المشهورة) [١] .

وقد ظهر الانذار والترهيب فى شعر الكردى ، الى جانب اصلاح الفئات الاجتماعية والسياسية المتطاحنة ، فكان الكردى يهاجم خصومه ويهجوهم فيطيل الهجاء ، ويقف داعية سياسيا ومصلحا اجتماعيا ، فيجرى شعره دفاقا معطاء ، وكان الشعر فى عصره هو الفن الادبى الرائج ، والذى دخل ميادين كان احرى ان تدخلها القصة والمقالة السياسية والمقالة الاجتماعية ، ومن اجل ذلك فقد كتب هذا الشعر ليفهـــم

---

(١) العمدة ، فى محاسن الشعر وادابه ونقده ، لابى على الحسن بن رشيق ، مطبعة السعادة بمصر ج ١ ص ١٨٦ .

ويسترشد به . وعامل اخر ـ ظهر في القصيدة التي اشرنا اليها ـ هو الاسلوب القصصي الذي يعالج به الكردي مواضيع شعره ، يظهر ذلك في حديثه عن الراهب ، والمعارك بين الايطاليين والاحباش .

وربما اضفنا عاملا اخر لايقل اهمية عما ذكرنا ، وهو رغبة الكردي في الاطالة كي يثبت انه شاعر مجيد ، وانه قادر على النظم بهذه الصورة التي يعجز عنها سواه .

ويمكن ان نقول ايضا ان اسلوب الكردي الذي يميل فيه الى الاستطراد ، وذكر التفاصيل ، والتكرار ، يمكن ان يكون تفسيرا لهذا الطول المسرف في قصائده .

وبالرجوع الى قصيدته في ذكرى المولد نستطيع ، على ضوء ماذكرنا ، ان نفسر سبب بلوغ ابياتها اكثر من مائة وثمانين بيتا .

الباب الرابع

مكانة الكردى

بين معاصريه من الشعراء

عاش الكردى فى الفترة التى اسميناها بفترة التقليد فى الشعرا السودانى [1] ، وشعراء هذه الفترة كثيرون وسنكتفى بالنظر الى ثلاثة منهم يمثلون ، مجتمعين هذا الاتجاه خير تمثيل ولهم دواوين مطبوعة تعيننا على البحث وهم محمد سعيد العباسى [2] وعبد الله البناء [3] وعبد الله عبد الرحمن [4] .

وهؤلاء الشعراء ، من ناحية الشكل والمبنى ، يتبعون نهج القصيدة العربية القديمة ، يلتزمون الوزن الواحد والقافية الواحدة يتناولون الفنون الشعرية المعروفة مثل النسيب والوقوف على الاطلال والرثاء والفخر والشكوى . وقد يتناولون

---

(١) انظر

(٢) ولد محمد سعيد العباسى سنة ١٨٨١ وتوفى ١٩٦٣ وله ديوان مطبوع اسمه ديوان العباسى طبع سنة ١٩٤٨ بمطبعة الكيلانى الصغير بشارع البستان القاهرة .

(٣) ولدعبد الله البنا سنة ١٨٩١ وله ديوان مطبوع اسمه ديوان البنا طبع سنة ١٣٤١ ــ وطبع بمطبعة الحضارة ــ الخرطوم

(٤) ولد عبد الله عبد الرحمن سنة ١٨٩٢ وتوفى وله ديوان مطبوع اسمه الفجر الصادق طبع سنة ١٩٤٧ .

تجارب جديدة معاصرة مما حدث فى زمانهم من احداث السياسة والمجتمع ، والآمال الوطنية التى يزخر بها شعبهم والالام التى يمر بها فى سوء حاله وانحدار اوضاعه • وفى كل هذا نجد تفاوتا فى مقدار الاجادة بين شاعر وشاعر وبين قصيدة وقصيدة [١] •

والشاعر العباسى يتفرد بين معاصريه بانه لم يكتب شعر المناسبات الذى كان سمة من سمات الشعر فى تلك الفترة فقد خلا ديوانه من قصائد المناسبات الدينية مثل ذكرى المولد والهجرة ، كما خلا من التهانى والاخوانيات ، وربما كانت " الموء تسمر السموء تمر " [٢] " ويوم التعليم " [٣] القصيدتين الوحيدتين اللتين يمكن ان نعدهما من شعر المناسبات •

ويبدو للمطلع على شعر العباسى اطلاعا عابرا انه يعيش لنفسه يفتخر ويشكو الزمن والناس ويعيش حبيس ذكريات ايام الشباب • يبدو ذلك فى كثير من قصائده مثل (ذكريات ص ٢٢ ذكرى ايام الشباب ص ٣٦ من معاقدى ص ٤٠ رسائل الصفاء ص ٥٦ ، عهد جيرون ص ٧٨ ، ذكرى حبيب ص ٨٥ وادى الربدة ص ٨٩ ، عروس الرمال

---

(١) الاتجاهات الشعرية فى السودان ، د • محمد النويهى ، معهد الدراسات العربية العالية ص ٣
(٢) ديوان العباسى ص ٤٤
(٣) نفسه ص ٦٦

ص ٩٤ آلام وآمال ص٩٧) وغيرها من القصائد التى تعطى هذا الاحساس لاول وهلة • ولكن العباسى فى حقيقة الامر ينطلق من الخاص الى العام ، ولايكاد يتغنى غناء ذاتيا حتى يحيله رمزا الى الجماعة [1] •

واكثر غناء العباسى بمصر ،وذكريات ايامه فيها ، وهى تجاربه الذاتيه ، ولكنه كثيرا مايظهر صوت الجماعة فى هذا الغناء فى مثل قوله من قصيدة رسائل الصفا [2]

فمصر هى اليوم كهف الرجا • لنا وهى المرضع الحانيه
لها ولابنائها الاكرمــــين اياد بنا برة آســيــة
بروحى وليست تهاب الردى كبائعة دونهــا شاريــه
فانى من غرس نعمائهــــا غراس هو الثمر الدانيـه
وما بالقليل انتسابى لها وانى حماد هــا الراويــه

فها هو حماد يروى للجماعة وبصوت الجماعة سيرة مصر ، فلا تضيع شخصيته ولا يخفت صوت الاخرين •

واما البناء فيكثر عنده شعر المناسبات ويكفى ان نشيرالى عناوين بعض القصائد مثل (المولد ص ٥٢ ، المولد ص ٥٤ تعليم المرأة ص ٦٩ ، الى لجنة التمثيل

---

(١) فى الشعرالسودانى ص ١٤
(٢) ديوان العباسى ، رسائل الصفا لحضرةالدكتور زكى مبارك ص ٥٦

ص ٧٩ ، تحية العام الهجرى ص ١٠٧ تحية المولد ص ١٠٩) وقد اكثر من ذم الزمان والناس ومن ايراد الحكم والوعظ والارشاد وكادت ان تضيع ذاتيته وتذوب فى هذه القضايا العامة ، ومن امثلة شعره فى هذا المجال :

فللمدارس هجران وسخرية ... وفى المتاجر ضعف غير موزون

وللمفاسد اسراع وتلبية ... ولا التفات لمفروض ومسنون

فمن غنى فقير فى مروءته ... ومن قوى بضعف النفس مرهون

ومن طليق حبيس الرأى منقبض ... فاعجب لمنطلق فى الارض مسجون ١

وقد اشتهر البنا بوصف البادية ،طبيعتها ، اهلها ، حياتهم ،اخلاقهم .

ومن اشهر قصائده فى هذا المجال " الخريف " والتى جاء فى اولها :

اما رأيت البرق كيف التمعا ... وحوله السحاب كيف اجتمعا ٢

" واخلاقنا " التى مطلعها :

نحن اناس جارنا عظيم ... وفضلنا فى اهلنا عميم ٣

واما عبد الله عبد الرحمن فهو شاعر المناسبات بحق وقد ضاعت شخصيته

---

(١) ديوان البنا ص ١٠٧

(٢) نفسه ص ١٦٥

(٣) نفسه ص ١٦٣

وانطمست معالمها • فهو لم يترك مناسبة تمر دون ان يكتب فيها شعرا فكتب فى المناسبات الدينية [١] وكتب ثلاثة قصائد فى المدرسة الاهلية : عند التفكير فى انشائها ، وعند افتتاحها مؤقتا ، وعند وضع حجر الاساس • كما كتب فى ملجأ القرش [٢] وكلية غردون وافتتاح جامع جوبا ومناسبات تخريج الطلاب من كلية غردون [٣] وقد امتاز شعره بالحديث عن العروبة والاسلام والوعظ والارشاد

ومن امثلة شعره قوله :

يامسلمون ومجدكم متأثل — وكتابكم ابد الابيد امام
الدين يأبى ان يقال تخاذلوا — والمجد يأبى ان يقال الاموا
وطبيعة الاسلام تأبى الذل — والاسلام فيه الكر والاقدام
ربوا البنين لغير ما ازمانكم — تكن الليوث تشنها الاجام
إظهار مسكنة وذلة انفس — دين عليه توطأ الاقدام
ومحمد فى دينه وكتابه — ان ترفض الاوثان والاصنام [٤]

---

(١) الفجر الصادق والمهجريات ص ٤/ ٢٠
(٢) اسمه الآن معهد القرش
(٣) الفجر الصادق ص ٢١–٢٦
(٤) نفسه ا ص ٢١–٨٥

والملاحظ ان دواوين الشعر الثلاثة خلت من شعر الهجاء •

اما من الناحية الفنية فيرى بعض الباحثين ان شعر العباسي جزل فخم طلى رخيم [1] وان اسلوبه هو اول الاساليب الثلاثة واحسنها [2] يتضح ذلك من قولـــه

مالى وللخمر رق الكأس او راقا   وللصبابة تصلى القلب احراقا
مضى زمان تساقينا الهوى بهما   فى فتية كرموا وجدا واشواقا
زهر الوجوه متى سيموا الهوان لووا   سوالفا كصوى السارى واطاقا
صحب حملت لواء العشق بينهم   من قبل ان يصبح العشاق عشاقا
اذ ليس فى المذهب العذرى لوم فم   ارضى فما ومشوق ضم مشتاقا [3]

ويقول الدكتور عبد المجيد عابدين (لعلك تدرك عند سماع هذه الابيات ان الشاعر فخم العبارة تسمع لعبارته جرسا قويا ، اصغ الى دوى القافات والصادات فى البيت الاول يسندها ميل الى التشديد ، والحركات الطويلة المديدة ، فاذا انتقلت الى البيت الثالث تسمع صليلا كأنه صليل السيوف ، حين يلوى الرفاق سوالفهم ،وهى كصوى السارى ، متى سيموا الهوان ٠٠٠٠٠) [4] •

---

(١) الاتجاهات الشعرية فى السودان ص ١٢
(٢) الثقافة العربية فى السودان ص ٢٣٤
(٣) ديوان العباسى ص ٦٦
(٤) الثقافة العربية فى السودان ص ٣٥

واسلوب البنا يلى اسلوب العباسى فى الجودة وقوة الاسر [1] ومن شعره فى الفخر الممتزج بالغزل :

اسعاد ما انا جازع من حادث	واذا جزعت فمن يصول ويقدم
القاك حاسرة فيصرعنى الهوى	رهبا ويرهبنى الكمى المعلم
ولقد تطيش سهام خصمى ان رمى	وتصيب قلبى من جفونك اسهم
اقسمت بالاحرار وهى اليتى	مادام يجرى بين جثمانى دم
مهما تشاكلت الامور وابهمت	لا ارتجى الا التى هى اقوم [2]

ففى هذه الابيات شىء من اللين والسهولة ، والابتعاد من الفخامة والغرابة .

ويأتى اسلوب عبد الله عبد الرحمن فى المرتبة الثالثة ، اذ ينقصه الحماس والتدفق وقلما يخرج معانيه بعواطف قوية صارخة ، [3] ومن قوله عن مصر :

يانسيما يختال بين رياض	راويا عن اريجهن اعتلالـه
قف رويدا وجمّع الزهور واحمل	لرجال العلوم منى رسالـه
لرجال العلوم فى ارض مصر	واهبى الضاد حسنها والجزالة
قل لهذى الكرام يجمعها النادى	بدورا ويحتويهن هالة

---

(١) الثقافة العربية فى السودان ص ٢٤٠
(٢) ديوان البنا ص ٧٠
(٣) الثقافة العربية فى السودان ص ٢٤٣

لكم الود فى البلاد مقيمـــا   ما اظن الزمان يطوى ظلاله [١]

واما الكردى فاننى ارى انه يفوق هؤلاء الشعراء من ناحية غزارة الموضوعات ٠٠ اذ كتب فى كل ماتناوله الشعراء الثلاثة من شعر المناسبات الدينية والاجتماعيـة ، فى عصرهم ، وتوسع فيه ٠ وكتب قصائد الهية عديدة بثّها شكاته وآلامه وتضرعه ٠

واشترك معهم فى موضوعات كانت عنده اكثر نضجا واكتمالا ، فالعروبة التى تغنوا بها ، كانت عندهم معانى عامة وتحلقا غائما بالماضى ، ورد ذكرها فى ثنايا قصائد المناسبات الدينية والاجتماعية ٠ ولكنهـا عند الكردى تتخذ شكلا متكاملا يبدأ بالماضى المزدهر ، مارا بالحاضر المزرى ، مطلا على المستقبل ، املا وتفاؤلا ٠ وقـد افرد الكردى قصائد عديدة لقضية فلسطين التى هى محور حديثه عن العروبة ، الـى جانب ماذكره عنها فى قصائده الدينية والاجتماعية ٠ وهنا تجدر الاشارة الى ان الدواوين الثلاثة خلت من شعر فى فلسطين [٢] ٠

وفى الشعر السياسى المتعلق بقضية الجلاء والاستقلال ، والتعبير عن الحالة السياسية فى عصرهم ، كان الكردى اكثر وعيا وجرأة واقداما ، يظهر ذلك فى حديثه المباشر

---

(١) الفجر الصادق ص ١٠٣

(٢) هنا تجدر الاشارة الى ان الشاعر احمد محمد صالح ، وهو معاصر للكردى ، شعرا فى العروبة ، وقد كتب قصيدة عن فلسطين سنة ١٩٤٨ جاء فى اولها :

=

عن الاستعمار ، وفى الوقوف الى جانب الشباب الذين قادوا حركة التحرر والانعتاق من قبضة الحكم الاجنبى [١] .

وقد توسع الكردى فى مواضيع اخرى كالهجاء ، الذى كان يوجهه لاشخاص باعينهم ، ولكنه — من خلال ذلك — يتجه الى نقد الحياة الاجتماعية ، ومافيها من نقائص ، وخلال ذميمة . كما توسع فى قصائده الاخوانية ، التى اتخذها وسيلة للتعبير عن افكاره ومشاعره فى موقفه من الحياة والناس .

وقد تفرد الكردى بشعر العصبية الكردية ومدح الاكراد وهو امر املته عليه ظروفه الخاصة ... اصله ونشأته .

واما من الناحية الفنية فان الكردى التقى مع هؤلاء الشعراء فى شكل القصيدة كما اوضحنا من قبل ، ولكنه توسع توسعـا كبيرا هذه المرة فاتسمت قصائده بالطول .

مشى يتحدى صروف القدر ويبغى العدالة ذاك الخبر

وقالوا فلسطين قد روعـت وجار عليها ذئاب البشر

انظر :

ديوان مع الاحرار ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٦٩ ، ص ٦١

١ يمكن الاشارة هنا الى ان للشاعر توفيق صالح جبريل ، وقد كان معاصرا للكردى ، شعرا سياسيا ، اشتهرت منه قصيدته التى جاء فى اولها :

ايها القوم لاتجروا الذيولا يأنف الحر ان يعيش ذليلا

وهى فى ديوانه الذى تقوم بتحقيقه الآن الآنسة الرضية ادم .

فقلت عدده القطع وكثرت الطوال فبلغت احدى قصائده سبعا وعشرين ومائتى بيتا .(٢)

وانني ارى ان الكردى لايرقى ــ فى معظم شعره الى مستوى ديباجة العباسى ونسجه المحكم ، ولكنه يفوق البنا فى كثير من قصائده ديباجة ونسجا . فالكردى يسف ويضفى فى بعض شعره ، واظهر مايكون ذلك فى شعر الهجاء حين يسب المهجو فيبعد عن التعبير الفنى المحكم ، وذلك فى مثل قوله :

ومدارس الاقباط كنت مدرسا ... فيها قليل النفع للطـلاب

تعطى البنين النحو من ارجوزة ... فى حفظها عنت على الطلاب

والرفع عندك كالمضاف وان تكن ... ابدا مضافا بين كل رحاب

والنصب مالاقيت من نصب به ... آمال نفسك اصبحت كسراب

والجر جرك فى الرغام بجبـة ... نضاحة طنانـــة بذبـــاب

الا ان شعر الكردى فى معظمه ــ محكم النسج ، سلس العبارة ، ولعل قوله :

انى ابن انثى حرة عربيــــة ... آباؤها بيض الوجوه فحول

وابى عريق فى النجار وابلـــج ... فى برده كـــرم يكاد يسيـــل

تنميه للحى اللقاح عشـــيرة ... واب وقور ماجد جهلـــول

وانا امرؤ زين المحافل شاعر ... لى هزة نحو السماح تميـــل

يقف شاهدا على مانقول .

الباب الخامس

تحقيـق الديـوان

مصادر الشعر

تنقسم الى قسمين :

(١) المسودات والمخطوطات والكراسات الصغيرة والدفاتر والصحف والتى قامت بتصويرها دار الوثائق المركزية .

(٢) الكتب التى نشرت شيئا من شعره

القسم الاول

- المسودات : وعددها اثنتان وعشرون مسودة
- المخطوطات : وعددها سبع وثمانون مخطوطة
- الكراسات : وعددها اربع عشرة كراسة ، فيها اربع عشرة قصيدة وجزء من قصيدة ومسودة قصيدة
- الدفاتر : وعددها ثلاثة دفاتر ، فيها اثنان وثلاثون قصيدة
- صحف سودانية : معروفة باسمائها ، عددها سبع صحف ، على خمسة وعشرين عددا فيها اربع وعشرين قصيدة ، وبقية قصيدة لان تشطير قصيدة المجارم نشر على جزئين .
- ثلاثة اعداد من صحف سودانية ممزقة مجهولة الاسماء وبها ثلاث قصائد
- صحيفة مصرية ، عدد واحد ، قصيدة واحدة

- صحيفة سعودية ، عدد واحد ، قصيدة واحدة

القسم الثاني

- كتاب شعراء السودان : فيه قصيدتان الاولى لامية في وصف السيل ورثاء اهل عطبرا ، والثانية رائية في وداع احد اصدقائه الضباط وهما غير موجودتين في القسم الاول
- كتاب نفثات اليراع ، فيه قصيدة رائية في مدح الدكتور الفاضل البشرى وهى غير موجودة فى القسم الاول
- كتيب " بلوغ المرام في تخميس خل الغرام " وفيه تخميس قصيدة البرعى " خل الغرام " وهى غير موجودة فى القسم الاول
- كتاب " الحماسة الصغرى " وفيه اربعة ابيات من لاميته في وصف السيل ورثاء اهل عطبرا وتبدأ (انى ابن انثى .....)

وصف القسم الاول

الكراسات

١ـ كراسة بلا غلاف فيها قصيدتان

٢ـ " ذات غلاف سميك ازرق اللون ، فيها قصيدة واحدة

٣ـ " " " عادى فيها قصيدة واحدة

٤ــ كراسة ذات غلاف عادى فيها تخميس البردة

٥ــ " بلا غلاف ، قصيدة واحدة

٦ــ " " سبعة ابيات من قصيدة

٧ــ " " قصيدة واحدة

٨ــ " " " "

٩ــ " " " "

١٠ــ " " " "

١١ــ " " جزء من البردة

١٢ــ " " قصيدة واحدة

١٣ــ " " بغلاف ممزق ، مسودة قصيدة

١٤ــ " بغلاف عادى ،قصيدة واحدة

الدفاتر

- الدفتر (آ) ذو غلاف سميك احمر مزركش بالاسود ،مكتوب على غلافه " ١٢٥ قصيدة من نظم الشاعر عبدالله حسن الكردى وايضا تخميس البردة " ولكن لم نجد فى الدفتر سوى قصيدة واحدة
- الدفتر (ب) ذو غلاف احمر مزركش بالاسود حوى على ست عشرة قصيدة
- الدفتر (ج) ذو غلاف ازرق مزركش بالابيض حوى على خمس عشرة قصيدة .

الصحف

	عدد القصائد
• السودان	٧
• النيل	٦
• صوت السودان	٤
• الاشقاء	٣
• ملتقى النهرين	٢
• منبر الشرق	١
• الجهاد	١
• صحف سودانية ممزقة	٣
• البلاغ : صحيفة مصرية	١
• ام القرى : صحيفة سعودية	١

المخطوطات والمسودات

اعداد كبيرة من الاوراق المفرقة ، مكتوبة فى اوراق فلسكاب واوراق كراسات واحيانا فى اوراق " رسمية " مكتوب عليها " حكومة السودان " ، وهى مبعثرة لاتنتظم فى شكل قصائد كاملة • وعند تجميعها استقامت مسودات ومخطوطات لكثير من القصائد المثبتة فى الدفاتر والكراسات والصحف ، ولغيرها مما لم يثبت وفى كثير

من الاحيان نجد اكثر من نسخة للقصيدة الواحدة ، مسودة ومخطوطة ، او مخطوطتان ومسودة •

معظم هذه الاوراق كانت سليمة ومقروءة الا ان بعضها تمزق وبعضها اريقت على اجزاء منه ماء طمس معالم بعض الكلمات •

خطوات التحقيق

تسلمت دار الوثائق الشعر الموجود في القسم الاول الذي اشرنا اليه ، من لجنة التاليف والنشر التابعة لوزارة الاستعلامات والعمل (١) وقامت بتصويره • ثم شرعت انا في عمل فهرست لكل ورقة حتى لو كانت جزءا من قصيدة ثم بعد ذلك عمدت على الاطلاع على هذا الشعر جميعا • ولم تكن هنالك مشقة في جمع القصائد التي نسخت في الدفاتر والكراسات والتي نشرت في الصحف لانها صورت ووضعت في مكان واحد ولكن المشقة كانت في الاوراق المفرقة اصلا والتي صورت مفرقة وكانت كما ذكرنا عبارة عن مخطوطات ومسودات وقد تأتت الصعوبة من تشابه كثير من القصائد في البحر والقافية والموضوع ، وان كثيرا من القصائد كتبت في نسخ متعددة بعضها بخط الشاعر وبعضها بخط مغاير ، يضاف الى ذلك ان نسخة ما لقصيدة ما

---

(١) الارشاد القومي حاليا

تختلف عن نسخة اخرى لنفس القصيدة ، فكان لابد من قراءة كل المسودات والمخطوطات ومضاهاتها بعضها ببعض حتى تستقيم قصائد كاملة . والـــذى يسّر علىّ الامر ان الشاعر اعتاد - فى كثير من القصائد - ان يرقم الصفحات وان يرقم الابيات ويسجل مجموع ابيات القصيدة فى نهاية الصفحة الاخيرة .

وبعد ان تيسر لى فرز القصائد ، قمت باعطاء المسودات والمخطوطات ارقاما ، ثم نسختها جميعا ، ثم قمت بترتيبها حسب الحروف الابجدية ، ودفعت بها بعد ذلك الى الآلة الكاتبة لطباعتها ، واحتفظت بالنسخة الاصلية ،وقمت بكتابة الحواشى التى تشير الى مابذل من مجهود فى ترتيب ومضاهاة القصائد ، ثم قمت بشـــرح المفردات على النحو المبين فى الديوان وبعد ذلك نسخت التحقيق كاملا فى النسخة الاصلية - المطبوعة على الآلة الكاتبة .

دراسة المسودات والمخطوطات والصحف

بعد فحص كل اوراق القسم الاول من مسودات ومخطوطات وصحف ، ودراستها لمعرفة الطريقة التي كان يكتب بها الشاعر ، وماكانت تكتبه الصحف لتقديم شعره للقراء تبين لي الآتي :

اولا

اعتادت الصحف ان تقدم شعره بكلمات الثناء والتقدير ، فمثلا نشرت له جريدة النيل في الثاني من نوفمبر ١٩٥٠ قصيدة تحت عنوان كبير هو " روائع الشعر " مطلعها :

نوال المجد كدح واغتراب　　　وعزم قدتهون به الصعاب

وقدمت لها بقولها (وصلتنا قصيدة عامرة الابيات مليئة بالشاعرية الممتازة من شاعرنا الكبير عبد الله حسن كردى وهو غنى عن التعريف بل هو فى طليعة شعراء السودان المجيدين ورأينا الا نحرم قراء النيل من هذه الملحمة الشعرية ، فقدمنا لهم شذرات منها نظرا لضيق المجال) .

ثانيا

لم يكن الشاعر يهتم بوضع عناوين لقصائده الا فى النادر القليل وكان يكتفى بكتابة ديباجة فى اول القصيدة ، مثلما فعل فى قصيدته التى مطلعها :

حسبى الله وهو نعم الوكيل　　　من حسود ومن عدو يصول

حين كتب (قصيدة الهية يرجو بها ناظمها الفقير الى الله تعالى عبد الله حسن كردى المثوبة من الله والتوفيق لما يحبه ويرضاه بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآل بيته واصحابه رضوان الله عليهم اجمعين) وقد تطول هذه الديباجة او تقصر ، واطول ديباجة كتبها هى التى جاءت فى مقدمة قصيدته التى مدح بها صلاح الدين الايوبى والتى مطلعها :

يا ربع مالفؤاد ادى عنك مصطبر　　　واهلك البدو لى فى وصلهم وطر

ثالثا

كثيرا مايرقم الشاعر صفحات المسودة او المخطوطة ، ويحصى عدد ابيات كل صفحة ثم يجمع ابيات القصيدة فى الصفحة الاخيرة .

رابعا

عمد الشاعر فى قصائد قليلة الى شرح المفردات وكتابتها على الهامش ، واكثر قصيدة حظيت بالشرح قصيدته الالهية :

سبح بحمد الواحد الخـــلاق　　　رب الانام مقسم الارزاق

خامسا

اعتاد الشاعر ان يوقع اسمه بعد الفراغ من كتابة القصيدة او نسخها وغالبا مايكتبه على هذه الصورة (عبد الله حسن كردى شاعر السودان) واحيانا يكتب اسم

البلدة التي كان فيها حين كتب القصيدة ووظيفته • كان هـ يكتب (كاتب تسجيلات بواد مدني) •

سادسا

اعتاد الشاعر في بعض مخطوطاته ان يضع ارقاما وحروفا ، مثال ذلك قصيدته التي مطلعها :

لكم سادتي ماعشت الهج بالشكر   وان قل في يوم الوداع لكم شكري

يعطيها الرمز (٣ـ ب) واتضح انه يعني القصيدة الثالثة في الدفتر رقم (ب) •

سابعا

بعض الكلمات والاشطر ساقطة من المخطوطات وبعضها سلقة من المسودات والشاعر كثيرا مايضع نقط (• • • • •) مكان الكلمات الساقطة من المخطوطات • وربما كان يكتب او يملي على شخص آخر من الذاكرة ، لان بعض الكلمات الساقطة منها مثبتة في المسودات • وفي بعض الاحيان يضع ارقاما بعدد الكلمات الساقطة في مثل قوله :

فراغ فوء ادي نأيكم ونسى الاسى   الى القلب (١) • • • ، (٢) • • • • • • من صبري

ومن امثلة الكلمات الساقطة من المخطوطات ومثبتة في المسودة قوله :

يطوي الفضيلة ثم "ينشر" ضدها   ويقول هجرا حين عنه يغيب

فكلمة " ينشر " مكانها نقط فى الدفتر ولكنها مثبتة فى المسودة ويبدو لى ان بعض الكلمات اسقطت عمدا لعدم استحسان الشاعر لها كما فعل فى قوله وهو يهجو بعض الموظفين :

وإذا رأيتم (٠٠٠٠) طرتم لها فرحا بعزمة فارس متحمس
أترى رضيتم (بالغلام) أم الهوى قد جركم لسبيل غىّ طامس

والنقط فى البيت الاول مكان كلمة ساقطة من الدفتر وغير واضحة فى المسودة . واما كلمة (بالغلام) فى البيت الثانى فهى محذوفة من الدفتر مثبتة فى المسودة .

ثامنا

لاحظت ان الخط الذى نسخت به بعض القصائد يختلف عن خط الشاعر فى مسوداته وبعض مخطوطاته ، اذ كان الشاعر يكتب نسخا والخط الاخر رقعة ، وفى الملحق من هذه الدراسة نماذج من الخطين [١] .

تاسعا

والملاحظة الاخيرة عن المسودات هى اهم الملاحظات ، واعنى بها عملية الشطب والتغيير والتبديل والتقديم والتأخير التى كان يجريها الشاعر فى الفاظ وابيات القصيدة ساعة كتابتها او بعد الفراغ منها [٢] . والامثلة على ذلك كثيرة . فمثلا فى قصيدته التى مطلعها :

---

(١) انظر الملحق ص
(٢) انظر الملحق ص

عرف الناس انكم آل برمس   اية الفضل فى غد ثم امس

كتب البيت الثانى على الوجه التالى :

بيتكم لايزال اكرم بيت   أمل الخير فيه يضحى ويمسى

ثم شطب الشطر الثانى وغيره فصار البيت :

بيتكم لايزال اكرم بيـــت   امه الضيف طارقا حين يمسى

ويبدأ قصيدته فى مدح الرسول الكريم بقوله :

ظبى الحمى متمتع بكماتـــه   حيث الرماح تذود عن ظبياته

ثم يبدل كلمة " ظبى " بكلمة " ذ اك "

وفى قصيدته التى مطلعها :

وقفت على الهوى شرخ الشباب   لغانية من البيض الكعاب

كثير من التغيير ، فقد كتب البيت الحادى عشر على الوجه التالى :

رأيت بها قميرا فى جبين   وسهم حواجب مثل الحـــراب

ثم عدل عن العجز فصار البيت :

رأيت بها قميرا فى جبين   فخلت الصبح آذ ن بالاياب

والبيت السابع عشر الذ ى يقول :

ولم ار قبلها ابدا عيونـــا   الى حور المها ذ ات انتساب

وكان قد كتب محل " حور" كلمة نواعس ، ثم شطبها وقد فعل ذلك لان الوزن لايستقيم مع " نواعس المها " وانما يستقيم مع " حور المها" وكان الشاعر يكتب كل هذه التعديلات على هامش الصفحة .

وقد يتردد الشاعر فى شطب كلمة وتغييرها بكلمة اخرى كما فعل فى قصيدته التى مطلعها :

دعيت فما فى القوم الا مرحب ولخر فى مدحى بما شاء يطنب

حين كتب :

فان جمعا فالشمل بالوصل يلتقى وان فرقا فالصلح للصدع يرأب

شطب اصلح وكتب الحب ثم شطب الحب وكتب الصلح فى الهامش .

واذا فحصنا مسـودة قصيدته التى مطلعها :

جل من صير الملوك عبيدا وغدا بالجلال فردا وحيدا ووقفنا عند بعض ما اجراه عليها من تعديل ، لازدادت الصورة وضوحا امام اعيننا . وهى قصيدة طويلة .

فقد كتب البيت الثانى والاربعين على الوجه التالى :

والدنانير فوقها من حباب ما لتقت بالحباب صدرا وجيدا

ثم شطب الصدر وعدله فصار البيت :

دنرتها بالدمع ام الغوادى فالتقت بالحباب صدرا وجيدا

وكتب بعد البيت السادس والاربعين والذى يقول :

كل يوم يبدو لربك صنع لايزال الطريق منه تليدا

كتب :

نسوة فى الحى يلدن وموتى ... نعشهم ذاهب يوم اللحودا
وظلام يتلوه صبح جديد ... طالب الرزق فيه يبغى المزيدا
ورخاء بعض قبض ويسر ... يدع العسر فى العراء طريدا
وحياة مثل الروايــة فيهــا ... مضحكات الفصول تأبى العديدا

ثم شطب هذه الابيات الاربعة وكتب بعدها :

زهرة تنزوى واخرى تلتهــا ... آذن القطر فوقها ان يجودا
وظلام يتلوه صبح جديد ... طالب الرزق فيه يبغى المزيدا
ومعين فى الارض يصبح غورا ... بعد ان كان ورده مــورودا
وبحار ترمى ~~بمعوج~~ بموج عليها ... يحمل الفلك انفسا وبريدا
وابن نار احشاؤه من بخار ... جاب عرض البلاد قفرا وبيدا
ومطار فى الجو راع حماما ... . الارض حين خاف الصعودا
ونساء يلدن فى اثر موتى ... نعشهم ذاهب يوم اللحودا
وحياة مثل الرواية ظلت ... يعقب الجد هزلها تفنيدا
وفصول ادوارها مزعجــات ... تدع القلب من أساه عميدا

ويلاحظ ان الابيات التى شطبها جاءت موزعة وسط هذه الابيات الاخيرة ، مع تعديل فى بعض الابيات المشطوبة بالاضافة الى ان البيت الذى يبدأ (ومطار ...) كتب

بخط دقيق بين البيت السابق له والذى يليه دليلا على انه الحق بالابيات مؤخرا والكلمة الساقطة ومكانها نقط فى المخطوطة مثبتة فى المسودة ولكنها غير واضحة ٠

وفى نفس القصيدة ورد البيت الثامن والستين وما تلاه على الوجه التالى :

وتزود بالصالحات تجدها يوم لاينفع الحطام الكنودا

واجعل الذكر ماحييت اماما فهدى الذكر كم افاد الرشيدا

واذا جئت عند وعد فكبر او اتيت الوعيد قابك الوعيدا

وتفقد تقولك فالنفس نقدما ثم ابت من ضلالها ان تحيدا

ثم شطب البيت الاخير (وتفقد) ووضعه بعد قوله (وتزود ٠٠) ٠

يضاف الى ماذكرنا ان الشاعر كان يضع بعض العلامات مثل علامة × او دوائر على الهوامش نحو كما فعل فى قصيدته التى مطلعها :

ربيع مرحبا اهلا وسهلا قدومك للدنيا سعود

حيث وضع علامة × على الهامش بجانب قوله :

وما انس فلا انس ليال لها فخر على العام الجديد

ووضع خطوطا طولية فى ابيات وردت فى قصيدته التى مطلعها :

عفت دار سلمى باثارها وانت ولوع بتذكارها

ففيم ادكار الربوع وما اتاك حديث باخبارها

ومنها هذا البيت :

فلا الردفر خف عن جوره ولا انت تصدف عن حالها

وفيها هذا البيت :

ابرد الشباب طوال المشيب وسلمى تمن باقبالهـــا

ومنها قوله :

واسرع من لمحة تنقضى وتذهب غمرة اهوالهـــا

وواضح ان الشاعر لاحظ اختلاف القافية التى الزم نفسه بها وربما وضع هذه الخطوط كى يعود لمراجعة قوافيه ولكن لم يفعل • كما يبدو لى انه كره تنوين ليال فى بيته الاسبق ، وهى منصوبة •

وواضح من كل هذا ان الشاعر كان يجرى هذا التغيير والتبديل ، والتقديم والتأخير جريا وراء اللفظ المناسب والمعنى الجيد والاجادة عموما ، مما يدل على ان هذا التدفق الشعرى الذى عرف به الكردى كانت تتبعه صنعة واتقان[1] •

---

(١) راجع دراسة المسودات فى كتاب الدكتور سويف ص

خاتمة

هذه مقدمة عن الكردى ، عصره ، وشخصيته ، وشعره ، اردت أن اعرف بها هذا الشاعر وأن اضع معالم يهتدى بها من يريد دراسته ، أو من يريد ان يؤرخ للشعر السودانى أو يقيمه ، فيضع الكردى فى مكانته التى يستحقها فى مسيرة الشعر السودانى الحديث ، وارجو ان اكون قد وفقت فى ذلك .

الفهارس

فهرست الاعلام

فهرس البلدان والاماكن

فهرست المراجع

١ـ الاتجاهات الحديثة في النثر العربي ، في السودان ،الدكتور عبد الله الطيب ، معهد الدراسات العربية العالية ١٩٦٩ .

٢ـ الاتجاهات الشعرية في السودان ، الدكتور محمد النويهي ، معهد الدراسات العربية العالية .

الادب السوداني ومايجب ان يكون عليه ،حمزة الملك طمبل

٣ـ تاريخ الثقافة العربية في السودان ، الدكتور عبد المجيد عابدين ،دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع .

٤ـ تاريخ السودان ،البحر الاحمر ، اقليم البجة ، محمد صالح ضرار ، منشورات دار الحياة ، بيروت .

٥ـ تاريخ السودان الحديث ،ضرار صالح ضرار ، منشورات دار الحياة ، بيروت

٦ـ جغرافية وتاريخ السودان ، نعوم شقير ، دار الثقافة بيروت ١٩٦٧

٧ـ جريدة الثورة ، ٢٧/ ٣/ ١٩٦٤

٨ـ الحركة الفكرية في السودان الى اين تتجه ، محمد احمد محجوب ، المطبعة التجارية الجديدة ، الخرطوم ١٩٤٨ .

٩ـ الحياة النفسية والعقلية ، حامد الخشاب ، دار الاتحاد للطباعة والنشر

١٠ـ دائرة المعارف الاسلامية ،يصدرها باللغة العربية ، احمد الشنتناوي ، وابراهيم زكي خورشيد ، وعبد الحميد يونس .

١١ـ ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر

١٢ـ ديوان البارودي ، طبعه وصححه وشرحه ، على الجارم ، ومحمد شفيق ، دار الكتب المصرية

١٣ـ ديوان البرعى

١٤ـ ديوان البنا ، مطبعة الحضارة الخرطوم ١٣٤١

١٥ـ ديوان البوصيرى ، تحقيق محمد سيد كيلانى ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر

١٦ـ ديوان جرير

١٧ ديوان الخنساء ، دار صادر ، بيروت

١٨ـ ديوان العباسى ، مطبعة الكيلانى الصغير بشارع البستان بمصر

١٩ـ ديوان عبد الله الطيب ، اصداء النيل / المقدمة / الدار السودانية ، الطبعة الثالثة

٢٠ـ ديوان عبد الله عبد الرحمن / الفجر الصادق ١٩٤٧

٢١ـ ديوان عمر بن ابى ربيعة ، دار صادر ، بيروت

٢٢ـ ديوان المتنبى ، عبد الرحمن البرقوقى ، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة

٢٣ـ ديوان محمد المهدى مجدوب / نار المجاذيب / المقدمة ، وزارة الاعلام والشئون الاجتماعية

٢٤ــ ديوان محمد محمد على / الحان واشجان / المقدمة ، مطبعة الاعتماد بمصر

٢٥ــ رحلة ابن بطوطة المسماة " تحفة النظار فى غرائب الامصار والاسفار "

٢٦ــ المكتبة التجارية الكبرى بمصر

٢٧ــ رحلات بوركهاردت فى بلاد النوبة والسودان

Travels in Nubia, by The Late Johns L. Burckhardt

1784-1817

ترجمة فوءاد اندراوس ، مطبعة المعرفة

٢٨ــ رسالة الكردى الى الحاكم العام

٢٩ــ السودان بين يدى غردون وكتشنر ، ابراهيم فوزى

٣٠ــ السودان الشمالى ، سكانه وقبائله ، محمد عوض محمد ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ١٩٥٦

٣١ــ السودان عبر القرون ، الدكتور مكى شبيكه ، القاهرة ، مطبعة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٦

٣٢ــ السودان فى مذكرات ومدونات

Sudan Notes and Records

٣٣ــ شخصية بشار ، الدكتور محمد النويهى ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الاولى ١٩٥١

٣٤ــ شعراء السودان ، سعد ميخائيل ١٩٢١

٣٥ـ علم النفس الاجتماعي ، د ٠ فؤاد البهي السيد ، دار الفكر العربي

٣٦ـ العمدة : في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابي علي الحسن بن رشيق ، مطبعة السعادة بمصر

٣٧ـ في الشعر السوداني ، الدكتورعبد المجيد عابدين ، الدار السودانية الخرطوم

٣٨ـ كفاح جيل ، احمد خير المحامي ، مطبعة دار الشرق

٣٩ـ مجلة الثقافة المصرية ١٩٤٥

٤٠ـ مجلة الخرطوم ، " الفكر السوداني اصوله وتطوره " محمد المكي ابراهيم عدد اكتوبر ١٩٦٩

٤١ـ مجلةالخرطوم " الفكرالسوداني اصوله وتطوره " محمد المكي ابراهيم عدد نوفمبر ١٩٦٩

٤٢ـ مجلة النهضة

٤٣ـ مجموعة النفحات الربانية للسادة الميرغنية ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر الطبعة الاولى ١٩٥١

٤٤ـ ملامح من المجتمع السوداني ، حسن نجيلة ، دار مكتبة الحياة بيروت ، الطبعة الثالثة

٤٥ـ الموانئ السودانية ، الدكتورصلاح الدين الشامي ، وزارة التربية والتعليم ، الاقليم الجنوبي

٤٦ـ موت دنيا ، محمد احمد محجوب وعبدالحليم محمد ، ١٩٤٦

٤٧ـ ملف الشاعر فى وزارة الخزانة

٤٨ـ نفثات اليراع محمد عبد الرحيم ، شركة الطبع والنشر ، الخرطوم

٤٩ـ النصرة العلمية لاهل الطريقة الصوفية ، عبد المحمود نور الدايم ، مطبعة مصر الخرطوم ، الطبعة الاولى ١٩٥٦

٥٠ـ الواردات الوهبية فى اوراد الطريقة المجذوبية لمحمد بن المجذوب قمر الدين ، وقد استخلصه من كتاب الوسيلة الى المطلوب وغيره ، جامعة محمد المجذوب بن محمد احمد بن جلال الدين

٥١ـ الواقعية فى الادب الكردى ، الدكتور عز الدين رسول ، دار الكتب العصرية ، بيروت

٥٢ـ Islam in the Sudan by J.S. Trimingham, Printed by Charles Binchall and Sons Ltd., London and Liver Pool

٥٣ـ The Government Pension Ordiance, 1904, Laws of the Sudan, Volume I

٥٤ Religious Confraternity in the Sudan, by Wills

٥٥ـ مقابلات شخصية مع :

الشيخ مجذوب جلال الدين

السيدة كردية ابنة الشاعر

الشيخ عبد الله السنوسي

فهرست الموضوعات

ملحق

نص

رسالة الكردى الى الحاكم العـــام

صاحب المعالى حاكم عام السودان بالخرطوم

رحّب الشعب السودانى بعودة معاليكم للعاصمة بعد تلك الغيبة ولايزال يؤمل الخير فى ايام حكمك حقق الله رجاءه فيك •

وبعد فان المظلوم فى النهاية يرجع اليك بصفتك حاكم السودان العام واذ اقـول ذلك فانى ارفع اليك اليوم هذه الشكوى وانا واثق بأنها تجد لديك ماتستحقه من العناية •

١/ انى رجل متقاعد بالمعاش وعندى اولاد ادفع لهم مصاريف مدرسية واسرة كبيرة اعولها ومعاشى ليس كافيا للصرف علينا جميعا وظروف الحالة الحاضرة عصيبة وخصوصا فيما يتعلق بالمعيشة ومن جراء ذلك فقد فكرت ان آخذ قطعة ارض زراعية فى بلـــدى طوكر على ان يباشر زرعها وملاحظتها بالنيابة عنى حموى المقيم هناك •

اجل فكرت فى ذلك لان الربح من الزراعة يزيد معاشى ويجعلنى لا اشعر بالعسر المالى الذى اعانيه الان ويمكـننى من الصرف على نفسى وعلى اولادى وعلى هذه الاسـرة الكبيرة بغير تعب •

ماذا حصل بعد ذلك

حصل انى كتبت طلبا فى هذا الصدد للمستر روبرتسون السكرتير الادارى فوصلنى منه خطاب يقول فيه ان اراضى طوكر الزراعة لاتعطى الا لاهلها ولذلك فهو يأسف لعـدم اجابة طلبي وحين وصلنى هذا الخطاب رفعت له تقريرا برهنت فيه على انى من اهالـى طوكر وبينت له اسماء اهلى الموجودين هناك فاسقط فى يده ولم يستطع ان ينفى ماكـتبته فى تقريرى المشار اليه واقتنع بما قلته وسلم بهذه الحقيقة وكتب لمدير كسلا بان يعمـــل

اللازم بشأن اعطائى الارض ثم يفيده متى يكون تقسيم الاراضى وفى الوقت نفسه بعث الىّ بصورة من هذا الخطاب الذى ارسله لمدير كسلا وبعدئذ وصلنى منه خطاب آخر يقول فيه انه بعد الاتفاق مع مدير كسلا قد قرر عدم اعطائى الارض واظنك تعجب اذا علمت بان قطعة الارض الزراعية التى ابغى الحصول عليها الآن انما هى بدل من ثلاثين فدانا ظلت فى حوزتى اعواما طويلة لايصلها السيل وكان وكيلى فى طوكر يباشر تسجيلها باسمى فى كل سنة ومن امد قريب نزعتها منى الحكومة للصالح العام .

وان هذا الموضوع البسيط فى حد ذاته اخذ فى مكتب السكرتير الادارى خمسة اشهر كاملة فى حين ان هذه المدة تكفى لحل عدة مشاكل دولية فى اوروبا .

ياصاحب المعالى

اسمح لى ان اقول لك بان المستر روبرتسون سيرحل من السودان فى العاجل او الآجل وانا اظل باقيا فيه بصفتى من اهله وان المستر روبرتسون لاحق له ان يمنعنى من الزراعة فى بلدى اذا صح ان السودان للسودانيين وان العدل فوق القوة وان هذا الشعب السودانى الذى يطالب باستقلاله اليوم سوف ينال الاستقلال فى غد وسوف يصبح السودان ملكا له وحكومته سودانية لارقابة ولا سيطرة عليها لاجنبى ثم ازيدك ايضاحا بان طوكر انما هى بلدة من السودان لا اكثر ولا اقل وكل اهل السودان لهم الحق فى السعى وراء الكسب فى بلادهم سواء كان ذلك بانفسهم او بواسطة وكلاء ينوبون عنهم ولم تكن طوكر قطعة من اوروبا حتى يجعل المستر روبرتسون الزراعة خاضعة فيها لشروط مخصوصة اضف الى ذلك ان فى طوكر قيودا على المزارعين وضعها مدير كسلا السابق المستر هنفرى اقل مايقال عنها انها ظلم صارخ فالى هذه القيود الثقيلة

الفت نظرك راجيا ان تفكها فى القريب العاجل وان تشمل بعطفك اهالى طوكـــر المساكين ولكى تحيط علما بظلامتى من جميع الوجوه فها انا ارفق لمعاليكم بتقريرى هذا كل المكاتبات التى دارت بينى وبين السكرتير الادارى لكى يتسنى لك الاطلاع عليها لان فيها مايجعلك تبت فى الامر على ضوء الحقيقة •

واذ تناول تلمى موضوع الارض بما لايتطلب المزيد من الاسهاب فلاتكلم عن الارهاق الذى يعانيه اهل البلاد لان له مساس بهذه الشكوى من جهة الظلم

٢/ ان الصراع القائم بين الحكومتين البريطانية والمصرية انما هو لاجل السودان وماقالته الحكومة المصرية وما ادلت به من حجج فلن اتصدى للكلام عليه بشئ ما ولكننى اتكلم عما يتعلق بالحكومة البريطانية لان دفة الحكم فى السودان يديرهـــــا البريطانيون منذ فتح السودان الاخير الى اليوم • هذه الحكومة اعنى البريطانية قد صرح رئيسها غيرمرة قائلا بان حكومة جلالة الملك ليست مستعدة لـترك السودان حتى تصل باهله الى الحكم الذاتى ثم الاستقلال واذا صح ماقاله الرئيس وكانت نية الحكومة البريطانية صادقة لاريب فيها فان الحكم الحاضر ليس فيـه مايحقق هذه الغاية ولو بعد حين ولا مايؤدى الى تعاون الشعب مع الحكومـة ويجعل الود متبادلا بين الحاكم والمحكوم فالقوانين القديمة لازالت تنفذ احكامها فى البلاد فى حين انها اصبحت غير صالحة للحكم بها ولابد من تغييرها باخرى تلائم تطور الشعب وطموحه للرقى الآخذ فى الازدياد يوما بعد يوم ثم ما اقيدم سودانى على العمل فى بلاده الا وضعت الحكومة دونه العراقيل باسباب واهية والايدى مغلولة عن الكسب الذى تبيحه الشرائع السماوية وقوانين الحكومـات

كلها وحرية الافكار محاطة بسياج من الرقابة والغرامات الباهظة التى هـــى فوق طاقة الشعب والاحكام صارمة والشدة باقية لم يتقلص ظلها بينما ان الشعب هادئ وديع مسالم لايعادى الحكومة ولا يعصى لها امرا وهو اذ يفعل ذلـــك فانه يحترم العدل ويقدر المسؤلية ويأبى الفوضى لبلاده ويحرص على استتبـــاب الامن كحرصـــه على حياته لكنه تتجافى جنوبه عن المضاجع اذا ظلم وان شئت ان تتأكد من ذلك ففى اضراب عمال سكة الحديد بعطبره اكبر برهان يقنعك واذا كان هؤلاء العمال الذين اضربوا عن العمل بالرغم من ان محيط عقولهم لم يتسع بالتعليم وان السواد الاعظم منهم لايعرف القراءة ولا الكتابة قد شعروا بالظلـــم واضربوا عن العمل واوذوا فى سبيل الاضراب وصبروا على الضراء حتى يدركهـــم العدل ويقضى برد الحقوق المهضومة اليهم فما بالك بالطبقة الراقية من الشباب المتعلم الذى يشغل اليوم فراغا كبيرا من مناصب الحكومة ولا زال مؤتمره يطالب بالاستقلال والشيوخ والكهول الذين يقرأون الجرائد وتسمع آذانهم كل ما يقـــال ولما كان هذا الشعب يؤمل فى عهدك الاصلاح والسير به الى الامام فاول شئ يطلبه منك انما هو سن قوانين جديدة تكفل الرفاهية له وتشعره بانه حــــر غير مستعبد فى بلاده وله الحق ان يطالب بالاستقلال وان يكتب عنه ما يشـاء فى الجرائد وللصحف السودانية الحق ايضا ان تعبر عن شعور الشعب بكل صراحة وتناشد الحكومة الاصلاح وتنقد عملها اذا للخطأ اقرب منه للصواب ثم عليـــك بعدئذ ان تنصف السودانى من البريطانى اذا ظلمه وان تنظر بنفسك شكاوى الشعب التى تصل اليك لا ان تحيل امرها للسكرتير الادارى فان السكرتـــير

يأخذ فكر المدير والمدير يأخذ فكر المفتش وبين هو• لا• يضيع حق المظلوم بكثرة الوعود التى تعطى اليه للنظر فى قضيته ثم تتكرر من وقت لاخر حتى يسأم الشاكى من الجيئة والاوبة بغير طائل وان اقول ذلك فانني اعترف كما يعترف غيرى بان فى البريطانيين رجالا لايسوفون فى العمل ولا يرتضون بالظلم ولكن معظمهم غادر السودان معتزلا الخدمة بالاحالة للمعاش ولم يبق فى حكومة السودان غير القليل الذى لايكاد يذكر وان انسى فلا انسى من عهد غير بعيد سمعت رجلا بعد حديث طويل يقول لصاحبه اذا ظلمك المفتش فلا تشتكه للمدير فانه لاينفعك وهذا القول وان كان لاينبغى الاخذ به فى كل الاحوال الا ان فيه مايوء كده احيانا •

اما المفتشون البريطانيون فالشعب اذ يتحدث عن هذه الحكومة فانه يقول حكومة المفتشين ولعل السبب فى ذلك ان سيطرة المفتشين على الشعب قد بلغت الحد الاقصى من الظلم والاستبداد واصبحت لاتطاق واذ تلوك الالسنة هذا الحديث فالجرائد تنشره ايضا وعلى كل حال فالحكومة خير لها ان تدع الشدة فى احكامها وان تفسح مجال العمل للشعب حتى يجاهد دون المعيشة فى معترك الحياة بكل ما اوتيه من جهود ولاتجعل للعمل شرطا اوقيدا طالما انه لايتجاوز الحدود المعقولة ولا يضيرها بشئ •

ياصاحب المعالى

ان الشعوب تخضع لظلم الحكومات اذا كان بعيدا عن دائرة المعيشة واذ يتناول ظلمها المعيشة وسد ابواب الكسب امامها فانها لاتخضع للقوة مهما كانت هائلة واليأس يدفعها للشرور والحكومات التى لاتبسط يدها بالعدل وتدفع رعاياها لليأس

الذى يوءدى للشرور لاتصلح للحكم ولا عجب اذا اضطرب حبل الامن فى ربوعها وعمت الفوضى فى كل انحائها •

هذا ماعن لى ان اكتبه اليوم ولم يبق امامى الا ان امسك القلم عن الجولة فى القرطاس وانتظر حكمك العادل فى موضوع الارض الذى بسطته اليك فى هذا التقرير الذى حملنى على كتابته اليك المستر روبرسون الذى منعنى من الزراعة بارض هى وطنى ثم ظن ان عمله هذا لا يسأل عنه وانه بجرة قلم يفعل مايشاء ونسى او تناسى ان الشعب السودانى اليوم قد استيقظ من نومه واصبح لايفرط فى حقه ولايجبن وان بدورى رجل لا اخضع للظلم طالما ان لى لسانا ينطق وقلما يعبر عما فى ضميرى •

وختاما ياصاحب المعالى تفضل بقبول احترامى —

عبد الله حسن كردى
بالمعاش بالخرطوم بحرى